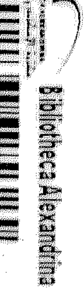
فيكتور جيرناك

الصفقة

رواية





رجمة زكريا لبيب خوري



الصفقة

* الصفقة
* فيكتور جيرناك
* الطبعة الأولى 1999

* دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة
سورية ـ دمشق ـ ص. ب : 4490
هاتف ، فاكس : 2126326

* دار الكلمة للنشر والتوزيع والطباعة
سورية ـ دمشق ـ ص. ب : 2229

فيكتور جيرناك

الصفقة

ترجمة زكريا لبيب خوري



- «هل يمكنك أن تحتمل كل هذه السنين على هذا النحو الرتيب؟ كيف لك أن تستمر في عملك هذا، مع كل هذه الورقيات، والأصوات المنبعثة من عمل الآلات الكاتبة المثيرة للأعصاب، والتي صارت تسبب لك حالة شبيهة بالصمم في نهاية يوم عملك؟... أما من شيء ينقذك من هذه الحالة؟... الذهاب إلى العمل كل يوم، والعودة منه، تقضي حياتك في ذهاب وإياب، ودخول وخروج، وخروج ودخول، لتعاود الكرة كل يوم... - كان قد أنهى حديثه الهاتفي مع هاري:

- إنه رجل أصلع، ذو صوت مبحوح، تافه، كثير التملق، يقوم بطباعة الأوامر والتعليمات... - حاول أن يعطي رأياً فيه -: إنه عجوز لكن بصحة جيدة.. ما هو تقييمك النهائي له؟

ـ تساءل في داخله: ... بشكل نهائي وحاسم؟.

ـ إنه إنسان تافه وسيء».

استند كريستيان هيلسمان، بظهره إلى مسند مقعده.. لقد بلغ الخامسة والثلاثين، ما الذي بوسعه أن يفعله مع آلامه الظهرية بعد إصابته بمرض «الديسك» في سن مبكرة، جرّاء جلوسه المديد خلف طاولة مكتبه، منذ عشر سنوات مضت.

كان مكيف الهواء يحاول أن يخفف من شدة الحرارة، رغم إصابته بعطل ميكانيكي، مما أدى إلى أن تصدر عنه أصواتاً مزعجة وعلى ما يبدو لا يوجد لدى المؤسسة نية لإصلاحه، لقد أصابها الكسل كغيرها من المؤسسات.

تَذكّر أن أحد الشبان كان قد جاء لإصلاحه حاملاً معه صندوقاً معدنياً يحوي مفاتيح وعدة إصلاح، كان وهو يحاول أن يصلّحه، يطلق بعض الشتائم متذمراً، وكأن كريستيان، هو المسؤول عن تعطله... أخيراً قال له:

ـ لقد حان الوقت لتتخلصوا من هذه النفاية، وأن

تشتروا جهازاً آخرَ جديداً، وإلا فإن النتيجة ـ على ما أعتقد ـ واضحة بالنسبة إليكم.

ألقى كريستيان، بقلم الرصاص في علبة الأقلام، فوق مكتبه وتمطى متسائلاً:

ـ هل سيستمر على هذه الحالة وإلى الأبد؟ هل يعقل ألّا يحدث له شيئاً يخلصه من هذا الروتين القاتل؟ إن الاستمرار في هذا النمط من الحياة سيؤدي به إلى الجنون.. كل يوم، كل يوم يجلس ومنذ الساعة التاسعة صباحاً ولغاية الخامسة مساءً على هذه الشاكلة مسمراً فوق كرسيه.. كل العمر...؟.

وصلت إليه بعض الأصوات ممزوجة بضجيج الشارع، نهض كريستيان، متثاقلاً محاولاً أن يشد من كتفيه بعد أن نزع نظارته من فوق عينيه ودسها في حافظتها، اقترب من مكيف الهواء، وشعر بتيار من الهواء يعبث بشعره الأشقر المنسدل فوق جبينه، أحس برغبة شديدة إلى أن يعطس....

كان كريستيان، رجلاً طويل القامة، له عينان

زرقاوان، جميلاً، يطيب لك أن تطيل النظر إلى تقاطيع وجهه المملوء ثقة واعتزازاً بالنفس. وإذا دققت النظر إليه ستجد فيه شيئاً من الكبرياء والأنفة والغطرسة.

رن جرس الهاتف: ـ إنه هاري مجدداً... أو قد تكون صديقته جوان... الآن بالضبط، إنه لا يريد أن يتكلم معها، لقد رآها في الأسبوع الماضي.. إن أغلب النساء لا يستطعن أن يفهمن أن الرجال يريدون أحياناً تمضية أوقاتهم بالطريقة التي تناسبهم،.. في البدايات يقوم الرجل بنسج شباكه حولهن وبعد ذلك تبدأ محاولاته للتخلص من وصايتهن.

وهكذا ستبقى جالساً يا هيلسمان، إلى مقعدك هذا بانتظار أن تحين الخامسة مساءً. إنه لأمر مرعب، ألّا يحدث شيء ما ليغير مجرى حياتك اليومية.

إنه ليس فقيراً ـ لكنه ليس غنياً أيضاً، بل لن يصبح غنياً أبداً. لم يكن يأخذ بالحسبان النقود التي تملكها والدته. إذ لها حياتها الخاصة، وليست لديها أية نية في أن تورثه شيئاً. وأبوه..؟ لقد تخلى عنه عندما بلغ العاشرة من عمره. لقد قدم له الحياة وعليه أن يجاهد كي يستمر فيها،

هكذا كان يفكر.. إنه كالجميع، ليذهب إلى الشيطان.

ضرب كريستيان هيلسمان الطاولة بقبضة يده فأسقط القلم من علبة الأقلام فوق طاولته ثم تدحرج طويلاً وقبل أن يسقط على الأرض، رن جرس الهاتف مرة أخرى.

رفع كريستيان سماعة الهاتف وارتسمت على وجهه علامات التساؤل والاستغراب، إنه صوت رجل مجهول... أبعد سماعة الهاتف ثم قربها مرة أخرى.. كان المتكلم يتحدث إليه بصوت عادي جداً، ليس مرتفعاً ولا همساً، ودون أن يلجأ إلى تغيير صوته أو التصنع - كان صوتاً عادياً، كما أكد لنفسه فيما بعد. عرض عليه صاحب الصوت أن يلتقيه لعقد صفقة مربحة.

لقاء غريب مع إنسان مجهول، يجهل أسبابه. المطلوب منه (فقط)، أن يهبط الآن إلى البهو حيث سيكونون بانتظاره، بالطبع كان هذا السبب كافياً لأن يُشجع كريستيان على مغادرة مكتبه، أفضل له من أن يبقى جالساً خلف طاولته مكرهاً على الاستماع لضجيج مكيف الهواء.

... هبط إلى البهو مستخدماً المصعد، بعد فترة انتظار وهو يراقب صعوده وهبوطه من أمامه. دخل بوش إلى مكتبه في الثانية عشرة (كالعادة...) كانت هذه عادة بوش، أن يأتي إليه، لشرب القهوة في الثانية عشرة تماماً. اعتذر كريستيان منه قائلاً:

ـ لن أستطيع أن أتناول القهوة مع الشلة.

.. بالفعل كانوا بانتظاره في البهو، كانا رجلين وعند وصوله نهضا لاستقباله.

يبدو أنهما يعرفانه؟... غريب.. فهو لا يذكر أنه التقاهما مطلقاً قبل الآن، إنه متأكد من ذلك.

ـ سيد هيلسمان... سرّني تلبيتك لدعوتنا. ثم قاما بتقديم نفسيهما ـ أدرك كريستيان بأن اسميهما ما هما إلا اسمان وهميان. وخلال تمعنه في وجهيهما استطاع أن يلحظ فيهما شيئاً من القسوة، وفي الوقت نفسه أحس بأنهما يتفحصانه أيضاً عن قرب. كانا يتفحصان حركاته وانفعالاته.

الأكبر سناً، وكان أقصر من الآخر كان ذا ساقين

قصيرتين، له جبين شديد الانحدار. شبهه بعجل مسمن. والأكبر سناً هذا، قال له:

ـ لن نأخذ من وقتك الكثير يا سيد هيلسمان، لذا فإنني أسمح لنفسي أن أنتقل مباشرة إلى موضوع لقائنا. لقد جئنا نعرض عليك: ـ أن تقتل لنا شخصاً مقابل مبلغ من المال... أرجو أن لا يقلقك موضوع حمايتك أثناء تنفيذ المقترح، أو إمكانية حدوث شيء ما يشكل خطراً على حياتك... إننا سنضمن لك كل ذلك. قد تسأل لما وقع اختيارنا عليك؟.. ـ توقف العجل المسمن عن الكلام للحظة وبرقت عيناه ـ ثم تابع كلامه:

ـ لكن لِمَ لا يقع اختيارنا عليك!؟ بالطبع، بإمكاننا أن نذكر لك أسباباً واهية كثيرة تبرر اختيارنا لك، لكن هل تعتقد أن ذلك ضرورياً؟ أنت أو غيرك، المهم هو موافقتك، مقابل مبلغٍ كبيرٍ من المال يكفيك مدى الحياة. أم أنك تفضل أن تمضي عمرك جالساً على مقعدك في مكتبك من الساعة التاسعة صباحاً حتى الخامسة مساءً أليس كذلك..؟.

كرر كريستيان كلام محدثه في نفسه: ـ أن تقضي

العمر من الساعة التاسعة صباحاً حتى الخامسة كل العمر، سأصاب بالجنون!.

حاول كريستيان ألا ينظر إلى عيني الغريب اللتين كانتا تحاولان أن تخترقاه:

ـ بالفعل لقد أعجبني هذا الغريب، فقد استطاع أن يصل إلى أعماقي وبالضبط في اللحظة التي كنت أفكر فيها... (أحس بشيء من البرودة تسري في ظهره، لكنه تماسك محاولاً أن يخفي اضطرابه)... ما هذه الصفقة، أتكون نكتة؟.

.. بالطبع شعر بالتأسف لعدم فهمه لها منذ البداية، فقد تكون إحدى ألاعيب واحد من أصحابه معه من باب الهزار! حسناً فليكن، سيكمل اللعبة... يبدو أن أصحاب النكتة يتمتعون بذوق رفيع في اختيارهم لهذين النموذجين المكلفين بإيصال العرض، فوجوههم لا تشبه هؤلاء المجرمين لعدم وجود علامات فارقة كندبة عميقة في وجه أحدهم أو أسنانٍ ذهبية في أفواههم، بل يبدو عليهم شيء من الوقار في حركاتهم البطيئة المدروسة وكأنهم حيوانات حذرة تنتظر طلقة نارية من بندقية صياد ما في الخاصرة، أو

في الجبين مباشرة في أية لحظة... قميص أسود، ربطة عنق فاتحة اللون، رقبة قصيرة، ويد هائلة ترافقها ابتسامة جذابة.

ـ كم سيكون المبلغ؟.. تساءل كريستيان، همساً وهو غير مصدق للصوت الصادر عنه، لقد تحول منحى النكتة إلى شيء ما يشبه الحقيقة.

أخرج الرجل الغريب دفتر شيكاته، ثم أخرج قلماً ودوّن عليه رقماً ضخماً.

أحس هيلسمان وكأن حجراً كبيراً قد حُشر في حلقه. قدم له الغريب الشيك مشفوعاً بابتسامة خاصة ـ فكر كريستيان في نفسه إنه ـ حتماً ـ شيك بلا رصيد... مزيف، دون شك.

ـ هذه فقط، كدفعة أُولى (قال له الغريب. وهو يدس الشيك في جيب سترة القاتل المستقبلي).

ـ هل أنتما جادان؟ ـ تساءل هيلسمان بصوت غريب عنه.

كان باب المصعد يفتح ويغلق دون ضجيج ليخرج منه بعض الموظفين أو المراجعين، وها هي إحدى

سكرتيرات المؤسسة تخرج، انتبهت إلى كريستيان فرفعت إليه يدها بتحية سريعة: ـ هاي...

تأكد لهيلسمان أن ما يراه هو حقيقة لكنه أراد أن يتأكد أكثر فكرر سؤاله:

ـ هل أنتما جادان؟.

ـ في غاية الجدية.

رفع الغريب كتفيه متضايقاً من تشكك كريستيان. أعقب ذلك لحظات من الصمت فيما كان العجل المسمن... قد أخذ قبعته بيده، لاحظ هيلسمان بروزاً في أوردة يده وتنبه إلى صوت محدّثه:

ـ لا أريدك أن تخشى شيئاً، سيتم تنفيذ ذلك ببساطة مطلقة، سنطلعك على العنوان المطلوب الذهاب إليه... ستذهب إلى هناك لتصعد إلى الطابق المطلوب وستضغط على الجرس، وعندما يفتح الباب... عليك أن تطلق النار مباشرة على ذلك الذي سيفتح لك الباب فوراً ودون تلكؤ. وهكذا... ينتهي كل شيء. إنه فعل غير مرعب، لن يقبض عليك أحد. وبعد نصف ساعة من الزمن

ستكون جالساً في منزلك لتحصل على الدفعة الثانية من المبلغ مع إضافة صفر آخر على يمين المبلغ الذي قبضته الآن. طقطق هيلسمان أصابع يده في جيب سترته... كان حديثهما ودياً في غاية الأدب والتأنق، كحديث رجال الأعمال هادئاً وقوراً...

تساءل كريستيان، وأحس بأن صوته قد خرج معتصراً من حلقه:

ـ ألن يسمع جيرانه أصوات الطلق الناري؟!... (عندئذٍ فهم كريستيان بأنه قد تحدث بشيء خطير وأن ما يقلقه ليس عملية القتل... أن يقتل إنساناً مجهولاً ـ بل إنه أمر آخر: ـ هل سيقبضون عليه، عليك يا كريستيان هيلسمان، أم لن يقبضوا عليك؟ شعر بأن جبينه قد تعرق، انتبه إلى نفسه، لحسن الحظ لم يكن جالساً بالقرب منهم أحد يستطيع أن يلاحظ عليه شيئاً ما).

ـ كلا، سيتم تزويد مسدسك بكاتم صوت، وكما ترى ليس ثمة ما تخشاه. بالطبع كان بإمكاننا (نحن)، أن نقوم بتنفيذ هذا الأمر، لكن القضية قضية مبدأ... فقد وعدنا الضحية بأنه سيتم تنفيذ الحكم به بيد إنسان

مثقف، ذو شخصية متماسكة وله نظرة خاصة لمفهوم الحياة، وبالطبع يجب أن ننفذ وعدنا، لأن القضية قضية مبادىء. ولهذا فقد وقع اختيارنا عليك وهذه هي باختصار القضية بكاملها. إننا نريد أن ندهش الضحية التي بدورها شككت بإمكانياتنا في إيجاد إنسان بهذه المواصفات يقبل أن ينفذ هذه المهمة، وها قد وجدنا طلبنا، نحن واثقون أن الموضوع بالنسبة لك ليس له علاقة بهذه المقدمة، بل إنه شديد العلاقة بمقولة كم ندفع، أليس كذلك يا سيد هيلسمان؟.

في تلك اللحظة فتح الباب الخارجي للبهو وعادت منه السكرتيرة ورفعت يدها بتحية إلى هيلسمان ثانية: ـ هاي...

ردد هيلسمان: ـ هاي.

تابعها العجل المسمن بنظراته ثم قال معلقاً: ـ يا لها من فاتنة.

ـ جداً ـ رد عليه مرافقه.

كان هيلسمان يمتحن نفسه. إنه يدرك الآن أن عليه

اتخاذ قرارٍ... الآن، هل يرفض؟ بالطبع سيذهب الغريبان وكما قال الرجل السمين:

ـ ستبقى كل العمر جالساً على مقعدك من التاسعة صباحاً إلى الخامسة وسينتابك الندم أو أن تقبل بتنفيذ الصفقة. إن الحالتين ليستا في السوية المطلوبة. ما العمل؟.

ـ ماذا هل توصلت إلى قرار؟ (انتبه هيلسمان إلى سؤال الرجل العجل).

ـ هل هناك مجال للتفكير؟ (تساءل هيلسمان بصوت يشبه الهمس، أبعد ما يكون عن صوته).

ـ بالطبع (نهض الرجل ـ العجل ودفع مرافقه أمامه إلى بوابة البهو الخارجية، ثم مد يده إلى كريستيان مودعاً) وقال له:

ـ لقد توصلنا إلى اتفاق أولي...

شعر كريستيان بأن يومه هذا قد أصبح طويلاً جداً ـ كان الوقت يسير ببطء شديد، حاول أن ينهض من مقعده، لكنه عاد مجدداً إليه بعد حين متضايقاً، دخل مكتبه بعض الموظفين، تساءل أحدهم عن موضوع ما، وعندما سأل الآخر عن قضية أخرى انتابت كريستيان

هيلسمان رغبة بالصراخ والغضب، ماذا دهاهم ألا يستطيعون أن يحلوا هذه الأمور دون مراجعته شخصياً.

نهض مرة أخرى ورمى بقلمه على الطاولة واتجه إلى النافذة ليفتحها. شعر بأن الجو قد أصبح خانقاً. نزع سترته ومد يده بحذر شديد إلى جيبه العلوي، هناك قريباً من صدره متحسساً ورقة الشيك - إذن فإن كل شيء حقيقي وليست من أفكار الهلوسة وإن أحدهم بالفعل قد زاره وفي ضوء النهار وبالضبط بين الثانية عشرة والواحدة ظهراً وقدم له مقترحاً بقتل إنسان. نعم قتل: إنسان ما.

خلال الفترة التي عاشها والبالغة خمسة وثلاثين عاماً. مر في حالات من القلق أثناء ألعاب السباق والمراهنات وفشل الأماني وسقوط الأحلام، لقد كان يستقبلها بتواضع، لكن لم يدُرْ بخلده مطلقاً أن يقدِّم إليه مقترح كهذا... أن يقتل إنساناً. لقد أدرك كريستيان بأن هذه ليست لعبة، بل إنه عرض شريف وجدي وسينفذ الرجل السمين التزامه في هذه الصفقة حرفياً ولن يتم القبض عليه مطلقاً ولا مجال للتغرير به أو خداعه أبداً. وسيتم كل شيء كما وعد الرجل المجهول...

سيطلعه على العنوان المطلوب وسيذهب إليه وعندما يفتح له الباب سيصوب مسدسه ويطلق النار مباشرة على ذلك الشخص الذي سيفتح له الباب دون اي تلكؤ. ولن يقبض عليه أحدٌ وسيعود ليقبض الدفعة الثانية من المبلغ، وهكذا لن يعرف أحدٌ أبداً بأن كريستيان هيلسمان قد قتل إنساناً ما... إنه عمل في غاية البساطة وكأنه يضع دبوساً في جسد فراشة كي تبقى ثابتة على لوحة للعرض، أو أن يدخل دودة في صنارة صيد السمك... بالطبع لو افترضنا أن هناك خطراً ما قد يلحق به من جراء تنفيذه لجريمة القتل... حتماً فإنه سيرفض تنفيذها من باب الحرص على سلامة نفسه وهذا أمر مفهوم لكل شخص ـ فإن القميص هي أقرب ما تكون إلى جسد صاحبها: ـ أن يرفع يده على إنسان ما؟ بالطبع لا يمكن أن يقوم بذلك خاصة بالنسبة لرجل مثل هيلسمان، عندئذٍ... توصل هيلسمان إلى قناعة بأنه ـ بالفعل إنسان شريف.

أما الآن فإن الاختيار أمامه في غاية الصعوبة: ـ أن ينفذ جريمة قتل مدركاً بأنه لا يمكن (حسب المخطط الذي شرحه الرجل ـ العجل) أن يهدد حياته أي خطر، مقابل أن

يدخل إلى جيبه مبلغاً من المال... أو أن لا ينفذها وبالتالي سيبقى كما هو... كل يوم: - يذهب إلى عمله المقيت هذا، ومن التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساءً وسيتجاوزه الحظ إلى الأبد. لن يفهمه أحد - لا شك بذلك. برز أمامه تساؤلٌ:

- هل سيشعر بتأنيب الضمير، وهل سيبقى متأثراً بالنتائج النفسية، معذباً طوال الحياة مدركاً بانه قد قتل إنساناً. لكنه أصيب بدهشة كبيرة وهو يستمع إلى جواب جاهز تقريباً صادر من أعماقه رداً على تساؤله:

- كلا.

لقد كان جوابه جاهزاً واضحاً... يجب عليه ألّا يتلاعب بالألفاظ، لقد قدموا إليه صفقة مربحة، أن يصبح جلاداً ولمرة واحدة أليس كذلك؟.. لكن - في الحقيقة - إن الجلاد يقوم بتنفيذ ما يمليه عليه القانون والعدالة. فهو يقوم بتنفيذ قرار القاضي، هذا من جهة، لكن من جهة أخرى فإن الإنسان هو الذي يقوم بكتابة القوانين وإصدار الأحكام والأنظمة وأن الجلاد يقوم بتنفيذ هذه الأحكام والقوانين التي كتبها الإنسان وها إن هيلسمان - أيضاً -

يقوم بتنفيذ أحكام مماثلة قام إنسان آخر بإصدارها: ـ أن ينفذ حكم الموت بأحدهم. أن يرفع يده ليقتل إنساناً.. ما هو شعور الجلاد؟ هل يقوم بتنفيذ ذلك بأعصاب هادئة وببرودة دم وحياد..؟.

أغمض كريستيان عينيه وبدأ بالتخيل:

«صوت جرس يرن مطولاً ومع الظلمة التي تغلق مدخل الشقة، يفتح الباب بهدوء ليظهر على عتبته جسد إنسان ـ هل هو رجل أم امرأة؟ ـ لا يهم، كلا، بل إنه أمر مهم، سيكون من الصعب عليه أن يطلق النار على امرأة خاصة إذا كانت صبية جميلة، بل إنه يفضل أن تكون الضحية، عوضاً عنها ـ رجلاً عجوزاً سميناً ذا أنف معقوف وذقن عريضة، وقد نما شعر وجهه، ولكسله لم يحلقه منذ ثلاثة أيام. بالضبط في عتبة الباب عند فتحه، سيقف شخصٌ ما وسينظر إليه بعيون منذهلة وستخترقه هذه النظرات وقد يكون له صوت نسائي ناعم وسيصاب بالدهشة لدى سؤاله: ـ نعم ماذا تريد؟.

لكن هل ستلجأ الضحية إلى فتح الباب كاملاً.. أم سيبقى الباب موصداً بسلسلة خاصة تمنع من فتحه على

مصراعيه، وهل سيتكلم معه من خلال الشق الذي تسمح به السلسلة... وعندئذٍ ما الذي يتوجب عليه؟... أيطلق النار من خلال هذا الشق الضيق؟.. لن يكون متأكداً من أن الرصاصات ستصيب الضحية وتحقق الهدف بل قد تسبب لها جروحاً فقط، وفيما بعد قد تتعرف الضحية... على كريستيان هيلسمان من خلال التحقيقات التي ستجريها رجال الشرطة...

يبقى الاحتمال الأخير، قد يكون الشخص المزمع قتله مسلحاً، بل قد يكون بدوره قاتلاً ذا خبرة، وعندئذٍ؟.. عندها يترتب أن نبدّل مواقعنا، وفي الوقت نفسه تصور كريستيان، نفسه وقد أصابته رصاصة (الضحية ـ القاتل) وكيف سيسقط من أعلى الدرج إلى الأرض نازفاً والألم يعتصره، وسيبقى الباب مغلقاً ولن يقدم أحدٌ على إسعافه».

فقز من كرسيه وهرع إلى النافذة، وقد التصق قميصه بجسدة من شدة الحر والتعرق، لم يكن سبب تعرقه الخوف.. بل هذه الفكرة الغريبة الطارئة التي أذهلته:
ـ أن يصبح قاتلاً. إنه كريستيان هيلسمان، إنه يعرف نفسه

أكثر من الآخرين إنه لا يستطيع أن يقوم بقتل إنسان. هذا هو مختصر الموضوع، إن ذلك أمرٌ واضحٌ بالنسبة إليه - «لا يستطيع أن يقدم على قتل إنسان» - لن يستطيع أبداً أن يضغط على زناد المسدس مدركاً بأن هذه الرصاصات المنطلقة من فوهة المسدس وخلال لحظات ستزهق روح هذا الإنسان وسيذكر مدى الحياة نظرات تلك الضحية التي أطلق النار عليها وستتحول أيامه جميعها إلى أيام سوداء مملوءة بالمعاناة وعدم الرضى، من مطلع الشمس إلى مغيبها وأثناء محاولات نومه ليلاً ستظهر في أحلامه كوابيس مرعبة، وقد تتحول إلى معايشة يومية يسيطر فيها الرعب والفزع وتأنيب الضمير، وسيصاب بالأرق المرعب بسبب ضميره المعذب.

في نهاية دوام يومه، قام كريستيان بجمع أوراقه ودسها دون ترتيب في طاولته - وهذه حادثة لا سابقة لها -... لم تظهر أمامه حتى الآن قضية محيرة كهذه.. شلت إمكانياته عن التفكير واختيار القرار أمام هذا المبلغ الضخم من المال... كان يفهم بأنه وبعد أن يختار قراره فإن حياته سيصيبها تغيير جذري - لم يستطع الذهاب مباشرة إلى

بيته ـ إما أن يبقى منطوياً مع هذه التناقضات النفسية التي أخذت تضنيه أيضاً ـ كما تبدى له ـ فهو أمر لا يمكن احتماله.

توقف هيلسمان ليتلفن إلى صديقه، كان قد عرفه منذ أكثر من عشرين عاماً مضت، سأله بهدوء عبر سماعة الهاتف: ـ هل بإمكاني أن أزورك؟.

أجابه صديقه: ـ سأنتظرك بشوق.

كان صديقه (سايروس بروست) كما يذكره كريستيان فناناً يمارس الرسم طوال الوقت. بالضبط كان مرتدياً (كمبرزيوناً) خاصاً بالرسم متسخاً بالألوان، كان رأسه شبيهاً بكرة متشابكة من الخيطان في وسطها تبرز عينان ذكيتان وانف صغير جميل وشفتان رقيقتان ونديتان رطبتان.

دفع بروست إلى كريستيان مقعداً متحركاً وهو يحاول أن يشرح له أبعاد اللوحة الفنية التي كان يضع خطوطها الرئيسية. أومأ كريستيان برأسه موافقاً ومؤكداً بأنه لم ير لوحة أجمل منها خلال سني حياته. ربت

بروست على كتف كريستيان وفجأة تنبه إليه فسأله بذعر:

ـ ماذا حدث، أليست صحتك على ما يرام، أم أنك تعاني من مشكلة ما؟.

ـ بالضبط إنني أعاني من مشكلة (لم يكن من عادة كريستيان تعاطي المشروبات، لكنه نظر إلى كأس الخمر التي ملأها له بروست وجرعها دفعة واحدة).

مسح بروست أصابعه بخرقة كثيرة الألوان، وهو ينظر إلى صديقه بعيون متسائلة. أخذ كريستيان بسرد ما حدث معه بين الثانية عشر ةوالواحدة من ظهر هذا اليوم والصفقة المقترحة التي عرضت عليه من قبل الغريبان: ـ أن يقتل لهم إنساناً.

ـ يا إلهي... (أجابه بروست مازحاً وهو ينهض من مقعده)، أن تقتل إنساناً؟.

لم يعجب كريستيان بجواب بروتس، ولا اللهجة التي تحدث بها وتساءل في داخله:

ـ أيعقل بأنه لم يأخذ كلامي على محمل من الجد؟ أيعقل أنه لم يصدق كلامي؟.

اقترب بروست من النافذة وأسدل الستارة ثم استدار ونظر بعطف إلى صديقه وقال له بطريقة ولهجة هادئة وقورة:

- يبدو أنك بحاجة إلى شيء من الراحة.

- ماذا؟ (لم يفهم كريستيان في البداية ما رمى إليه صديقه).

- أعتقد أنك بحاجة إلى بعض الراحة (كرر بروست كلامه بعد أن صالب ذراعيه مغمضاً عينيه).

انتابت كريستيان حالة من التأمل: - ليس من الصعب أن تضع نفسك في موقع بروست وفجأة يزورك صديقك الحميم، صديقك الذي تعرفه بشكل صحيح بل تعرف كل شيء عنه حتى أدق أسراره - كان يقاسمك بها، والذي بدوره أيضاً يطلعك على جميع أسراره ويفاجئك بماذا؟! لقد عرض عليه أن يقتل لهم إنساناً ما، بالضبط أن يقتل إنساناً ما، فقط ولا أكثر من ذلك.

كان بروست قد أخذ يدور في الغرفة متخذاً طريقة للحديث مع نفسه:

ـ قل لي... من يعتبرونك، كي يقدموا لك مقترحاً كهذا؟ قاتلاً محترفاً؟ كلا، نموذجاً للشرّ والعدوان؟ كلا، إنساناً مريضاً بأحد الأمراض النفسية؟... استناداً إلى ما ذكرته لي، أستطيع أن آخذ بالاحتمال الأخير، لكن أحمد الله على معرفتي بك منذ زمن بعيد ولم أجد لديك شيئاً من هذا... أعرفك بشكل جيد وبشكل خاص في النشاطات والحفلات الاجتماعية... مرحك، دعاباتك وروحك اللطيفة بخاصة إن تكن هناك نساء جميلات يقفن ضمن مقاييسك الخاصة للجمال. أنت تعرف بأنني أحبك كثيراً ومن المحزن جداً أن تأتي إلي لتتفاخر بكذبة كهذه وأن تأتي ـ أنت ـ بنفسك لتذكرها لي، ماذا تقصد من ذلك؟.. لقد تصادقنا منذ زمن بعيد جداً، ونحن نحمل هذا الود والمحبة لبعضنا البعض ـ أخذ بروست يرسم في فضاء الغرفة رموزاً سرية خاصة ويبدو عليه شيء من الحزن ـ أن تأتي إلي بمقترح مجنون كهذا! صراحة، لم أتوقع ذلك مطلقاً، قنبلة كهذه...! لم يبقَ لي إلا أن أركع أمامك متضرعاً: ـ لا تقتله، لا تقتله! يا كريستيان، ثب إلى نفسك وكُفّ عن هذا المزاح الأبله.

ـ إنني لا أمزج (دمدم كريستيان).

ـ إذن هكذا!؟ (لمعت عينا بروست بشيء من الانفعال، فقد أصابه الملل من هذا الحديث)، قد تحتاج إلى سلاح لتنفذ به ما أسميته بالصفقة بل الجريمة...؟ هيا خذ ريشة الرسم هذه بإمكانك أن تطعنه بها حتى الموت، أو إليك بهذه القطعة المعدنية الحادة، التي أستخدمها في إزالة الدهان اليابس والجاف... أعتقد أن بإمكانك بشيء من التدريب أن تقطع بها رقبة الضحية وإذا لم تناسبك هذه الأدوات فيما عزمت عليه سأجلب لك سكيناً حادة قاطعة من مطبخي، إنها مصنوعة من الفولاذ القاسي أؤكد لك إنك تستطيع أن تقطع بها أية ذبابة حتى لو كانت طائرة في الهواء إلى نصفين.

نهض هيلسمان، متجهاً إلى الباب، قطع بروست عليه الطريق واقفاً أمامه:

ـ كلا، بما أنك قد جئت إلي، اسمح لي أن أنهي كلامي... ليس من اللائق أن تأتي إلى أصدقائك لتذكر لهم حماقات كهذه... إن هذا الأسلوب من المزاح لا يجوز أن يمارسه الأصدقاء مع بعضهم، إننا لا نعرف ماذا

يمكن أن يحدث لنا أو ماذا يخبيء لنا القدر، لكننا سنبقى أوفياء لبعضنا البعض، أرجو أن تفهم ما أقوله لك!.. لا أعتقد أن أي صديق من أصدقائك سيفرح عندما تخبره بهذه الصفقة لأنهم لن يصدقوك أبداً.. بل لن تستطيع أن تقنعهم بصحته... أليس كذلك؟.

رفع كريستيان، كتفيه متعباً. لقد كان يوماً متعباً، وفهم الآن:

ـ لا يمكن أن يصدقه بروست لأن الناس لم يتعودوا على أن تذكر لهم أو أن تخبرهم بأمور شخصية، في غاية الجدية./ أما لو أخبرهم إنسان آخر ـ غيرك ـ لاختلف الوضع، لو افترضنا أن شخصاً آخراً قد نقل إلى بروست الكلام الذي ذكرته له. عندئذٍ كان من المحتمل أن يصدق بروست هذا الإدعاء. أما أن أقول له أنا بنفسي ذلك فالنتيجة هذه طبيعية.

فتح هيلسمان الباب ووقف أمام الفسحة بانتظار وصول المصعد، كان بروست قد خرج وراءه ووقف على عتبة الباب المفتوح.

ـ بالضبط هكذا ستقف الضحية التي سأذهب للإجهاز عليها (كان كريستيان يفكر وهو ينظر بانتباه شديد إلى وقفة بروست)... سيقف في الباب تماماً حاجباً خلفه الممر المؤدي إلى غرف الشقة، والضوء...؟ سيأتي ضعيفاً من خلفه، لكن مع هذا ستكون الرؤية جيدة ويمكن أن تصوب إليه دون خطأ.

حرك هيلسمان يده قبل أن يغلق باب المصعد خلفه مودعاً، ابتسم هيلسمان ورد عليه بروست بابتسامة مماثلة.

عندما أقبل الليل كان كريستيان قد وصل إلى أوج انفعالاته وكآبته، وبدأ يتوقع في كل لحظة أن يدق جرس هاتفه ليسمع من الطرف الآخر سؤالاً صار يؤرقه:

ـ هل توصلت إلى قرار؟.

أحس بتخمة في بطنه، ذهب إلى المطبخ أكثر من مرة ليجرع كأساً من الصودا ـ أحس فيما بعد بحرقة في معدته، وآلام ظهرية، لف شالاً صوفياً سميكاً حول ظهره، سيكون منظره مضحكاً لو رآه أحدهم وهو في هذه الحالة: «قاتل يخشى آلام الظهر وحرقة المعدة». وصل

هيلسمان (في اليوم التالي) إلى مكان عمله متعباً محطماً، لم يتلفن له أحدٌ، طوال الليل الفائت، بقي منتظراً إلى منتصف النهار ثم أطال من فترة انتظاره طوعاً إلى فترة ما بعد الظهر وهو ينظر بترقب إلى جهاز الهاتف، لكن هاتفه بقي صامتاً طوال الوقت.

قرر أن يغادر مكتبه ليتنفس بعض الهواء الفاسد... (لقد أصبح هواء المدينة فاسداً بسبب عوادم السيارات وغازات الاحتراق الممزوجة بنواتج احتراق البنزين وأكاسيد الرصاص).

ـ على الأرجح لن يتلفنوا (كان هيلسمان يفكر) بل سينتظرونني في الشارع وسيقترب مني شخص ما ليلمس مرفقي قائلاً: ـ مستر سيلسمان... كيف حالك...؟ هل فكرت بما عرضناه عليك؟.

لكن توقعاته لم تكن في الحسبان.. لم يقترب منه أحد.

بقي طوال المساء منتظراً في بيته مصارعاً أفكاره، لقد أحس بأن أفكاره قد أصابتها البلبلة والاضطراب...

أنقذني يا إلهي! أن أقتل إنساناً؟ لن أستطيع أبداً حتى لو عرضوا علي بنوك العالم.

دق جرس الهاتف!... أُصيب هيلسمان بشيء من الرعب للحظة.. رفع سماعة الهاتف في الطرف الآخر كان بروست، سأله عن أوضاعه والأسباب التي دعته إلى إطلاق تلك النكتة مساء البارحة.

أجابه هيلسمان، معتذراً عن تلك (النكتة السمجة)، وبأنه بالفعل كان يحتاج إلى شيء من الراحة، ضحك بروست من تصرفه ودعاه لحضور حفلة خاصة خلال الأسبوع المقبل معترفاً بأن الشعور بتعب الأعصاب هو حالة عامة صار يعاني منها شباب العصر دون استثناء.

بقي كريستيان جالساً في مقعده دون حراك طوال المساء دون عشاء حتى أنه لم يفكر بشرب الشاي ثم تمدد في فراشه دون أن يخلع ثيابه... لم يتلفنوا إليه.

في اليوم التالي وفي التاسعة إلا عشر دقائق كالمعتاد، كان هيلسمان جالساً في مكتبه، أخرج أوراقه وأخذ يقرأ بشكل ميكانيكي دون أن يستوعب مطلقاً ما يقرأه.

كانت الحروف تتلاحق وهي تُشكل كلمات هيروغليفية لتجتمع في نص غير مفهوم. كان رنين الهاتف يشكل بالنسبة إليه إشارة خطر تفزعه وتجعل منه متحفز الأعصاب متوتراً وقبل أن يناقش الموضوع عقلياً، كان يطلق حكماً ذاتياً ليفاجأ بأنه كان اتصالٌ بخصوص العمل...

لم يتناول طعاماً منذ مساء البارحة وأحس بخواء شديد في أمعائه، وشيء يشبه الغثيان ودوار ضعيف ألم برأسه.

تلفنت إليه والدته. كان حديثها معه فاتراً، وكان جوابه مقتضباً، بنعم أو لا فقط.. خلال ذلك كان فكره مشغولاً بقضية أخرى:

«لنفترض بأن الضحية وبعد أن يطلق عليها النار لن تسقط على ظهرها أي إلى داخل ممر الشقة، بل كان سقوطها نحو الأمام.. عليه تماماً، فهل يترك الجثة تسقط على عتبة الباب المفتوح ويدعها في مكانها؟ ماذا عندئذٍ... هل يهرب وتبقى الجثة ورأس القتيل في الباب؟ أم يتوجب عليه أن يدخلها إلى داخل الشقة؟ هذا يعني أن آثار بصمات يديه ستبقى على مقبض الباب وأماكن أخرى!؟

طبعاً هذه قرينة خطيرة يجب تلافيها... ما العمل؟ أن يلبس قفازاً في يديه؟ ممكن.. سيدس في جيبه الداخلي قفازاً، وعندما يصعد به المصعد إلى الشقة المطلوبة، سيقوم بارتدائه.. مضحك وكأنه يقوم بدور سينمائي في أحد أفلام الجريمة. أم يمكنه وفي وضح النهار من ارتداء هذه القفازات مباشرة والذهاب لتنفيذ عملية القتل؟ ملفتاً بذلك الأنظار إليه. في هذا الجو الحار لا أحد يرتدي قفازاً. تبدو للوهلة الأولى أن فكرة قتل إنسان سهلة ويمكن تنفيذها بسهولة. أما عندما تدرس تفاصيلها فلا بد أن تقع في خطأ بسيط وسيؤدي ذلك بك إلى حبل المشنقة».

هدّأ كريستيان بعض الشيء من روعه، نهض من كرسيّه مقترباً من النافذة وهو ينظر من الشرفة إلى الناس وهم يسيرون في شوارع المدينة، كانت أحجامهم تبدو في غاية الدقة وكأنهم حشرات صغيرة من هذا الارتفاع الشاهق.

دق جرس الهاتف ركض كريستيان منفعلاً .إليه، لكنه بتسرعه أسقط علبة الأقلام فوق الطاولة وعندما رفع السماعة لم يسمع شيئاً ـ هتف مرتين:

ـ ألو.. ألو...

لكن الهاتف بقي محافظاً على صمته. حبس هيلسمان أنفاسه وبقي ملصقاً سماعة الهاتف إلى أذنه عله يسمع من خلالها صوتاً ما، همساً ما. صمت مطبق. أعاد السماعة إلى موضعها وبلع ريقه شعر بشيء من الألم في حلقه وأحس بوخز إبرٍ تؤلمه في ظهره، وبقي لمدة تزيد عن عشر دقائق واقفاً قرب الهاتف، لكن الهاتف بقي صامتاً.

هبط كريستيان إلى البوفيه كي يشرب فنجاناً من القهوة وعاد بسرعة، عبثاً، لم تتخل عنه معاناته. بقي قلبه يدق بين دفتي صدره وكأنه ناقوس كنيسة.

مرة أخرى دق جرس الهاتف، رفع كريستيان السماعة، استمع من خلالها إلى خشخشة ونقرات وطنين بعيد. صرخ بشيء ما عبر الهاتف لكنه لم يحصل على أي جواب. ألقى السماعة بانفعال بالغ ورمى بنفسه فوق المقعد، وأرخى من عقدة ربطة عنقه.

ـ لقد بدؤوا... وهذه كانت إشارتهم الأولى. ـ آن الأوان كي أخبرهم بقراري لكن أي قرار؟.

إن قراره السلبي أو الإيجابي سيغير وبشكل حاد منحى حياته وإلى الأبد، ولن يبقى له أي أمل في فرصة أخرى... سيبقى موظفاً تافهاً، ويبقى مرتبطاً بدوام محدد من التاسعة صباحاً وحتى الخامسة مساءً. أو أن يتحول إلى إنسان آخر... لكنه إنسان آخر، لا يمت إليه بشيء. وسيترتب عليه أن يغير حياته كي يتلاءم مع شخصية إنسان جديد... لكن قبل أن تصبح ذلك الإنسان الجديد عليك أن تقتل! صحيح أن أي إنسان وللمرة الأولى يخشى عملية القتل... أن تقتل لأول مرة، إنها قضية مرعبة.

ـ دعنا من هذه القرارات الانفعالية وفكر بمنطق أكثر... حاول كريستيان هيلسمان أن يقنع ذاته، طبعاً المطلوب منه أن يقتل إنساناً فقط، وليس المطلوب، أن يقوم بتقطيع هذا الإنسان إلى أجزاء صغيرة، أو أن يستمع إلى آلامه في إثناء عملية الذبح أو التقطيع أو يراه وهو يتألم أو يتلوى من آلامه والدماء تنزف من أجزائه المقطعة، علماً بأن أي جراح، يقوم بهذه الأعمال دون أي توبيخ ضمير، بل يكررها في اليوم الواحد مع أكثر من مريض، ومع

الزمن يتعود على هذه المناظر ويمارسها بشكل اعتيادي.. بينما هم... لم يطلبوا منه أن يقوم بهذا العمل، كل ما هنالك سيضعون في يده جهازاً، وفي حالته هذه يسمون هذا الجهاز بالمسدس... إنه جهاز كغيره من الأجهزة ذات الاستخدامات الأخرى كجهاز تجفيف الشعر مثلاً، أو جهاز لكيّ الشعر وإعطائه شكلاً مجعداً أو جهاز لعصر الفواكه أو لطحن القهوة.

وهكذا سيكون في يده جهاز، وكل ما عليه هو أن يضغط على آلية تشغيل هذا الجهاز، وهنا هو الزناد. بينما في الأجهزة الأخرى هو زر التشغيل... وفي تلك اللحظة بالذات، سيقوم هذا الجهاز بعمله وبسرعة لحظية، ودون أي صوت أو ضجيج وبفعالية مأمونة، هذا هو كل شي. أي عملياً إن المطلوب من كريستيان هيلسمان هو فقط تشغيل هذا الجهاز، جهاز كهذا بإمكان أي إنسان كان أن يقوم بتشغيله، بعد أن يوجهه إلى مكان محدد وفي وقت محدد، يعني أن دوره في هذه القضية ليس أكثر من دور مساعد.

وفي نهاية الأمر اخترعوا أجهزة أخرى يمكن التحكم

بها عن بعد. للأسف لم يجدوا بعد اختراعاً يمكن من خلاله أن يطلق المسدس رصاصه بطريقة التحكم عن بُعد.. متجنباً مجابهة الضحية أو النظر إلى عينيها مباشرة.

بقي هذا السؤال يؤرقه، كيف سينظر إلى عيني الضحية أثناء قيامه بعملية القتل، هذه هي حسب اعتقاده الصعوبة الرئيسة التي يواجهها أي قاتل كان... لام نفسه على هذه التهيؤات لماذا يفكر بهذه المواقف وكأنه قد قبل أن يقوم بعملية القتل.

لكن لو فكرنا بشيء من التروي.. فإن الدولة قد وضعت ضريبة على جميع مواطنيها وبالتالي فإن كل مواطن يقوم بدفع ضريبته على شكل نقود، وإن هذه النقود التي تمت جبايتها ستتحول إلى أسلحة وسيتم بيع هذه الأسلحة لدول أو منظمات تكون بحاجة إليها وسيقومون في مكان ما، في زمن ما، ضد إنسان ما باستخدامها في قتله وبالطبع سيجدون المبررات لاستخدامها، وفي نفس الوقت سيحاولون تسويغ فعلتهم مستخدمين بذلك النظريات والقانون..

.. أي أننا دون إرادتنا ـ كمواطنين ملزمون بدفع

الضريبة، قد أصبحنا طرفاً في جرائم القتل هذه ... لقد تشابكت هذه الأمور في ذهنه، أضف إلى ذلك أن هؤلاء الغرباء الذي جاؤوا إليه وليكونوا من يكونوا، هذا أمر لا يهمه، فَ «هم» من قاموا باتخاذ القرار وبالتالي فإن جميع المسؤوليات تقع على عاتقهم، بالضبط «هم» من قرر قتل ذاك الإنسان وليس كريستيان، وبالطبع هذه فرصة كي يربح من ورائها، لماذا لا يغتنمها قبل غيره ففي نهاية الأمر سيقوم شخص ما آخر بقتله، لو رفض أن يقوم بذلك، كي يربح هذا المبلغ الضخم.

صحيح أن النقود هي السبب الرئيسي للنجاح في الحياة، بل هي النجاح وعليه أن يربح الحياة: - هذه هي القضية الرئيسية، أن يحصل على النجاح، أن يكون إنساناً ناجحاً، هذا ما كان يطمح به... هو هو الدافع الذي يرغب بتحقيقه، وما تبقى فليس أكثر من أفكار تتناقلها الريح.

انطلاقاً من ذلك فإنه يجب أن ينظر إلى الصفقة التي عرضت عليه من مقاييس أخرى:

- هل يسمح كريستيان هيلسمان لنفسه بالتخلي عن

فرصة النجاة هذه، مع الأخذ بعين الاعتبار أن فرصة كهذه لن ولا يمكن أن تتكرر، مدركاً أن قراره السلبي أيضاً لن ينقذ الضحية من القرار الذي تم اتخاذه بحقها ألا وهو ـ الموت.

مرة أخرى دق جرس الهاتف، ومرة أخرى لا أحد يجيب من الطرف الآخر، وانتابت كريستيان، حالة من الضيق والانزعاج: ـ لا يدعون مجالاً للتفكير أو للتركيز في اتخاذ القرار، تكرر دق جرس الهاتف وفي كل مرة كانت أُذنا كريستيان لا تلتقطان إلا الطنين والصمت.

صار ينظر إلى جهاز الهاتف وكأنه اختراع حديث لقياس الضغط، ففي كل مرة كان يدق فيها جرس الهاتف، كان يشعر بأن ضغطه قد تجاوز الحدود المسموح بها في قوانين وعلوم البيولوجيا والطبابة... إن هذا الجهاد قد تحول إلى أداة تعذيب لا يمكن التخلص منها.. فجأة ودون أية مقدمات فتح أحدهم الباب ودخل دون استئذان... ابيّضّ وجه كريستيان من الرعب والمفاجأة وشعر بأن أطرافه قد تجمدت. كان الداخل إليه يحمل في يده صندوقاً معدنياً خاصاً بأدوات إصلاح الهواتف،

وللحظة فهم هيلسمان كل شيء: ـ إن العطل الذي أصاب مركز الاتصالات الهاتفية قد أدى إلى تشابك الخطوط الهاتفية، وبالتالي إلى عدم دقة هذه الأجهزة في اختيار الأرقام المطلوب الاتصال بها. وبعد عشر دقائق خرج المصلّح.

رفع كريستيان السماعة: ـ لقد صار طنين الهاتف طبيعياً وتلاشت تلك الخشخشة منه.

هدأ كريستيان لبعض الوقت وتوصل إلى قرار بأن الرصاصات المنطلقة من فوهة المسدس ستؤدي دون شك إلى سقوط الجثة نحو الخلف أي إلى داخل الشقة وبالتالي تنتفي الحاجة إلى القفازات... ما هي الصعوبات الأخرى التي يجب أخذها بعين الاعتبار؟ هل هناك خطأ ما؟. لم يستطع في هذه اللحظة أن يجد شيئاً آخر. لكن مع هذا يجب استرجاع جميع التفاصيل بما فيها العكس. قد تلجأ الضحية إلى إغلاق الباب في وجهه فور إخراجه المسدس ودون شك سيهتف لرجال الشرطة. هل يستحسن أن يتدرب قبل ذهابه إلى عنوان الضحية وأن يتدرب على استخدام سلاح الجريمة؟ بالطبع يجب أن يتدرب، وفجأة

تنبه كريستيان إلى ذاته وكأنه قد أعطى موافقته من حيث المبدأ على استعداده للقيام بعملية القتل ولم يبق إلا أن يفكر بجزئيات ودقائق تنفيذ العمل، فهم أنه بتفكيره في هذه الجزئيات يريد أن يُبعد نفسه عن التفكير الأهم ألا وهو موافقته أو عدم موافقته على القيام بهذا العمل.

الأهم هو قرار الموافقة.. في المساء شعر بألم شديد في صدغيه بسبب هذه الأفكار المتضاربة والرعب والازدواجية، لن يستطيع أحد أبداً أن يساعده في معاناته هذه، لن يفهمه أحد أبداً.. بل لا يستطيع أن يقبل استشارته... أكان يمكن أن يستشير أمه، بالطبع العلاقة بينهما ليست علاقة حميمة، لكن مع هذا لا يمنع من استشارتها.

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة بقليل عندما وصل هيلسمان إلى شقة والدته حاملاً معه زجاجة من «الليكور» الفرنسي الفاخر.

- أوه.. (نظرت والدته إلى زجاجة الشراب بنهم، وبعد ذلك تطلعت إلى ابنها)، كان هيلسمان يعرف أن

والدته تفضل الأصناف الحلوة من المشروبات، فسارعت إلى إعداد إبريق الشاي.

تحدث كريستيان عن عمله وعن رئيسه بكلاو، وكيف يتحدث عنه دائماً بإعجاب قائلاً بأن:

- كريستيان هيلسمان يعتبر من أفضل موظفي الشركة لكنه، يعمد إلى ترفيع غيره للمناصب الإدارية. ثم حدثها عن راجي سينكه - الهندي الذي ينحني أمامه أكثر من مئة مرة في اليوم الواحد كلما قابله، حتى لو كان في الطرف الآخر من الممر، وبأنه ينال زيادة في الأجر في مطلع كل شهر. طقطق هيلسمان أصابعه بانزعاج.

- إن الإحساس بإزالة التناقضات الاجتماعية بين السود لأنهم سود، وبين الهنود لأنهم هنود، والفيتناميين لأنهم فيتناميون، هو شعور اجتماعي لهذه الشرائح الاجتماعية البسيطة من الشعب الذي يقطن هذه الدولة المشؤومة.

كانت أمه قد ملأت كأسها للمرة الرابعة وهي تجرع «الليكيور» بنشوة، نظر إليها كريستيان وانتابه إحساس

بالخذلان وكأنه يجلس أمام إنسان غريب عنه. كانت عيناها قد أخذتا تلمعان.

بقي الاثنان محافظين على صمتهما وهما ينظران إلى بعضهما البعض وشعر بأن الكلام قد انتهى بينهما.

أخذت والدته بتجفيف كأسها بينما طلب منها كريستيان أن تصب له كأساً آخر من الشاي. تذكر طفولته التعسة والعقاب الذي كان يناله بسبب ارتكابه لأي خطأ بسيط. كانت تنظر إليه وقد كحلت عينيها، ووضعت بعض الصباغ فوق جفنيها وتذكر تعليقها وهزأها به:

ـ مهما حاولت أن تضع طوبة فوق طوبة، فلن تستطيع أن تشيد بناءً.

ـ هل أنتِ مرتاحة؟

فهمت والدته بأن كريستيان يريد أن يفتح معها حواراً، لكنه متردد ولا يعرف كيف يبدأه، وها هو يحاول أن يستفيد من الزمن. كانت امرأة أنانية، هكذا بقيت وما زالت صورتها في ذهنه، ها هي كما كانت امرأة لعوب،

لا يهمها من الحياة إلا نفسها... كانت وما زالت تنظر إلى آلام الناس عن بعد، لم تحاول مطلقاً أن تساعد أي إنسان كان في مصيبة منطلقة من مفهومها الخاص:

ـ إن الإنسان الذي يقع في خطأ أو مصيبة ما يتوجب عليه شخصياً أن يتحمل نتائج أعماله وأن يجد لنفسه مخرجاً منها، لأنك إذا قدمت له المساعدة المطلوبة.. عندئذٍ لن يتعلم مطلقاً الحرفة الأساسية للإنسان في هذه الحياة ألا وهي «مواجهة القدر». بقيت يدها تضغط بقوة على فنجان الشاي حتى أنها لم ترفع إليه حاجباً وهي تقول:

ـ أتريد مزيداً من الليكيور؟.

كان هيلسمان يدرك طبع والدته وطمعها، ويعرف بأنها تريد أن تبقي لنفسها حصة، وكلما بقيت كمية «الليكيور» في الزجاجة التي لها أكثر، كلما ازداد شعورها بالرضى. إلى جانب ذلك كان متفهماً بأنها لن تتلفظ بكلمة واحدة حتى تنتزع منه كل شيء.

ـ لقد قُدِّم لي عرض.. طُلبَ إليّ أن أقتل إنساناً،

مقابل مبلغٍ ضخمٍ من المال. أصحاب العرض أناس غرباء، لأول مرة أرى وجوههم.. العملية مضمونة ولا يترتب عليّ من جراء تنفيذها أي خطر، هكذا قالوا لي.

تنفس هيلسمان بعمق، ثم رشف من فنجانه بهدوء ظاهر، لقد قال لها كل ما في داخله. بقي محافظاً على تحديقه في وجهها... لم يكن باستطاعته أن يصل إلى أفكارها. وضعت ساقاً فوق أخرى لاحظ هيلسمان لنفسه:

ـ ما زالت تحافظ على قوامها، على الأرجح لديها عشيق.. شعر بشيء من الخجل بسبب هذه الفكرة ـ ربما كانت تطلق عليه اسماً آخراً... صديق، عابر سبيل، لكن الأدق هو: ـ «أحد أترابي»، هذا هو الاسم الذي ستطلقه عليه. مدت أصابع يديها أمام عينيها، وبقيت للحظة تنظر إلى أظافرها بعد أن قامت بطلائها وكأنها تراها للمرة الأولى، ثم نهضت وتفحصت كعب حذائها وعدلت من وضعية تنورتها، وابتسمت بود لابنها. ذكرته ابتسامتها هذه بوحشيتها ووقاحتها واستهتارها عندما كان صغيراً.

أحس كريستيان بفشل زيارته، عض على شفتيه ثم

نهض رافعاً كتفيه بعد أن أحس بشيء من الألم في ظهره، لقد كان متصوراً بأن عدم تفهم بروست لوضعه قد يقابله العكس أثناء زيارته لوالدته:

ـ لقد كانت حماقة أن أفكر بذلك.. هناك عداء بيني وبين الحظ.

زرّر أزرار سترته واتجه إلى الباب خارجاً.

ـ انتظر... (أوقفته أمه) هل أنت بحاجة إلى نقود؟ إذا كنت بحاجة إليها، كان يكفي أن تطلب ذلك... ولم يكن هناك ضرورة لاختراع هذه القصة ـ الصفقة... أن تقتل إنساناً مجهولاً، لأنني كما ترى ما زلت محافظة على قواي العقلية ومقدرتي على الاستكشاف.. على العموم لقد أصبحت ولداً كبيراً وعليك أن تعمل لتكسب كي تكمل استمراريتك في الحياة، لقد أعطيتك كل ما أستطيع: ـ الحياة، التعليم، الأسلوب، والذوق...

ابتسم هيلسمان لنفسه.. الكلام نفسه.. إنها تكرره دائماً، أعطيتك، أعطيتك، أعطيتك.. التعليم، الأسلوب.. وماذا أيضاً؟... آه الحياة.

اقتربت منه ووضعت شفتيها فوق صدغه.

- بإمكانك أن تذهب الآن يا ولدي.. سيزورني أحدهم.

نظر هيلسمان إلى الطاولة، لقد أبقت فوقها كأسين نظيفين بعد أن أبعدت كأسه. خرج هيلسمان بسرعة متجهاً إلى المصعد، التفت وراءه، كانت أمه قد وقفت في عتبة الباب تماماً، كوقفة بروست، وقد سدت بجسدها الدهليز القصير المؤدي إلى غرف شقتها. ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي هيلسمان «من هذه المسافة لا يمكن قطعاً أن يخطىء الهدف». ابتسمت له والدته أيضاً رداً على ابتسامته، انتبه إلى فمها لقد ظهرت لها أسنان جديدة... في مقدمة فمها زادت من جمالها.

عندما وصل هيلسمان إلى البيت فتح علبة كرتون وأخرج منها بعض القمصان وجرابات وشراشف نظيفة. قرر أن يكوي قبة قميص مخطط وجد فيه بعض الثقوب شبهها بثقوب الطلقات النارية التي يتم إطلاقها عن قرب ومن مسافة لا تتجاوز اثنين إلى ثلاثة أمتار، ويمكن أن لا تشبهها، لأنه لم ير قبل الآن أثراً لطلق ناري على قميص

الضحية بعد نزعها عنه. لكن بشكل عام هل ينزعون القميص عن الضحية بعد مقتلها؟.

ابتلع حبة منوم، نصحه بها أحد معارفه.. قال له: ـ إن تأثيرها فوري وسينام تماماً كالجثة...

نهض في الصباح التالي نشيطاً وكان في مكتبه في التاسعة إلا عشر دقائق تماماً.

كان صباحاً هادئاً، لم يصدقه أحد ولن يصدقه أحد أبداً، لا أحد منهم يريد أن يفهم أو يقدر مصيبته والأزمة النفسية الصعبة التي يمر فيها. لقد صار من الواضح بأن كل إنسان لا يهتم إلا بذاته ولا تهمه مصائب الآخرين وهذا ليس سراً بل هذا هو منطق العصر... لقد كان متأملاً أن يجد لديهم شيئاً من النصح أو المواساة... على ماذا؟ لماذا أنت بالضبط...؟ ماذا وجدوا فيك؟.

في فترة الاستراحة هرع هيلسمان إلى البار على الرصيف المقابل، اصطدم مرفقه بخاصرة أحدهم، أثناء جلوسه إلى كرسي البار اعتذر منه، نظر هذا إليه مطولاً. في إحدى زوايا البار كانت هناك طاولة وقد جلس إليها

اثنان يتحادثان. أشار إليه أحدهما برأسه. أحس هيلسمان وكأنهما يتحدثان عنه. شرب كأسه بسرعة ودفع حسابه ثم نهض خارجاً، أحس بأن جميع من في البار ينظرون إليه، انتابه الرعب وهو يجتاز الشارع عائداً. وفجأة أخرج كل ما كان في داخله من رعب متراكم خلال سني حياته - الرعب من ألا يفهمك الآخرون، من الاحتقار والشعور بالذل، الشعور بحالة الحصار، الشعور بحالة الضياع وعدم الحاجة إليك، الشعور بالعجز والفاقة - لم يستطع تمالك مشاعره الدفينة فأخرجها دفعة واحدة، لم يبق أمامه إلا مخرجاً واحداً كي يتخلص من هذا الرعب الدائم. نعم عليه أن يقتل هذا الرعب، هذا هو المخرج الوحيد، أن يقبل الصفقة. وفجأة أحس بشعور من الارتياح. ولأول مرة منذ أسبوع مضى يرى أن الشمس ما زالت ساطعة والسماء زرقاء، زرقاء... يا له من لون رائع، والهواء قد أصبح نظيفاً خالياً من عوادم الاحتراق المنبعثة من جحافل السيارات والشاحنات التي صارت تملأ المدينة.

انصرم النهار دون أن يشعر به، وعند المساء استدعاه بكلاو وقال له شيئاً ما: «أراد أن يستوضح منه، هل هو

سعيد بعمله؟ هل كل شيء يسر على ما يرام؟ هل توجد طلبات شخصية؟» يبدو أن كريستيان أجابه إجابات صائبة، لأن بكلاو بقي ينظر إليه بودٍ محافظاً على صمته، فيما كان يعض شفته بين لحظة وأخرى - ستموت من الخجل يا هيلسمان إن لم تدرك حتى الآن، أن تلك المؤشرات هي دليل إيجابي على موقف بكلاو من نتائج عملك، تحدث بكلاو مطولاً عن استخدام بعض الطرق والوسائل الممكن اتباعها، وبالتالي ستكون كفيلة بزيادة الإنتاج فالأرباح العائدة للشركة التي يديرها، في حال استخدام ذكائنا أكثر «أشار بأصبع سبابته إلى رأسه فيما كان باليد الأخرى يشير إلى دفاتر الأرباح». سنحصل على أرباح وستتكوّن سيولة أكبر شبيهة بتيار المياه المتدفقة في الأنهر الكبيرة! ها! أحس هيلسمان بشيء من الحزن.

كان يعرف بأن بكلاو كذاب كبير وبأنه يخطط لأمر لم يفهمه بعد.. هذا هو سلوكه وكأنه يمسك بقصبة علق في نهايتها جزرة ووضعها أمام «أنف الحمار» كي يحثه على الركض... وفيما بعد سيقول عبارته المفضلة: - «إن أكبر عدد للمنتحرين تجده في أواسط رجال الأعمال وأصحاب الملايين».

لكن المستغرب (في هذه المرة)، أن بكلاو كان يتحدث بجدية إلى هيلسمان، وفهم من خلال كلامه، بأنه «ستتم ترقيته إلى منصب كبير في إدارة أعمال الشركة» وهذا شيء لم يكن كريستيان قد وضعه في الحسبان... يبدو وكأن الأمر قد بُت فيه، وأن مجلس إدارة الشركة قد أعطى قراره في ذلك، إنه... آخر من يعلم، دائماً، للأسف يكون آخر من يعلم.. وفجأة مرت في مخيلته صورة بكلاو، والمقترح الذي قدمه إليه هؤلاء الغرباء، والمنصب الذي سيُرفع إليه.. وأصابع زملائه الموظفين وهي تشير إليه على أنه أصبح من أصحاب القرار في إدارة الشركة.

عندما عاد إلى شقته، ولأول مرة منذ أكثر من عدة أمسيات مضت قام وبهدوء كامل بتحضير طعام عشائه. كان يحاول أن يفكر دون انفعالية أو تسرع في حال قبوله تنفيذ الصفقة التي عرضها عليه هؤلاء الغرباء: ـ أن يقتل إنساناً.. يتوجب عليه أن يهجر هذه المدينة ويتخلى عن عمله ومنصبه الجديد الذي كان يحلم به منذ زمان بعيد، وأن يرمي وراءه هذه الثلاث عشرة سنة من الخبرة والعمل

الناجح التي من خلالها، خطا خطوة خطوة إلى أعلى السلم بل كان يحبو عليه أحياناً. والآن وبعد أن حقق ما كان يصبو إليه، هل يجوز أن يدير ظهره لهذا النجاح والمنصب الجديد الذي انتظره طوال هذه السنوات.. عليه أن يترك المدينة وبالتالي سيفقد عمله ومنصبه.

لكن لماذا هذا القرار؟... الأفضل أن يقبل بالعرض المقدّم إليه ويبقى قائماً على رأس عمله ما دام ليس هناك تخوف من كشفه.. وبذلك يمكن المراهنة على حصانين بدلاً من حصان واحد دفعة واحدة. بغض النظر عن تباين اتجاهيهما لكنهما سيحرزان السبق معاً. يبدو أنه لم يعد بإمكانه التراجع عن تنفيذ الصفقة المقترحة عليه.. أن يقتل إنساناً.. كان بإمكانه أن يرفض لو أن مجلس الإدارة قد أعلمه بمنصبه الجديد والذي نطق به بكلاو، مساء اليوم.. لكن الآن؟.. بالطبع لن يستطيع أن يرفض هذا المقترح، لأن الرفض بالنسبة إليهم سيعني حكمه على نفسه بالموت.. لن يدعوه أبداً ـ إن ذلك واضح بل شديد الوضوح، من جهة أخرى عليه أن يثبت كفاءته في موقعه الجديد وأنه ندٌّ لبكلاو، ولا يقل عنه أهمية وإدارة، بل يجب أن ينافسه في السلم الوظيفي مستقبلاً...

بالطبع إنه يدرك أن بكلاو ليس في مستواه الإداري، لأن مفاصل دماغه قد أصبحت كمفاصل عربة عتيقة يجب تغييرها أو تزييتها بشكل دائم ولهذا يجب أن يحقق فوزه عليه...

جلس هيلسمان إلى الطاولة كي يتناول طعامه. دهن قطعة خبزه بطبقة من الزبدة ثم وضع فوقها شريحة من اللحم المقلي وأخذ يمضغها بهدوء، شعر بصعوبة في بلعها، صب لنفسه كأساً من العصير وجرعه:

ـ علي أن أفكر بدقائق وجزئيات تنفيذ العملية.

لقد سهى كريستيان عن قضية أساسية، لقد أغفل أثناء دراسته لموقع الجريمة عن العين السحرية التي يمكن أن تكون موجودة في أعلى باب شقة الضحية المطلوب القضاء عليها... بالضبط «العين السحرية».. بالطبع سيكون من السهل عليه أن يدخل عبر بوابة البناء، بل سيقومون بإطلاعه على الأرقام السرية الخاصة بفتح باب البناية الأوتوماتيكي، وسيصعد هيلسمان مستقلاً المصعد إلى الطابق المطلوب وسيدق جرس الشقة المعنية وهنا بالضبط قد يحدث الإشكال.. فالمراد قتله سينظر من

الداخل، ومن العين السحريّة قبل أن يفتح الباب مستطلعاً، وسيرى هيلسمان وفي يده مسدس؟ أم يجب أن تكون يده التي تحمل المسدس في جيبه؟ كلا هذا أمر قد يبعث على الشك ولأنه عليه أن يبدو (من العين السحرية)، وكأنه قد أخطأ في رقم الشقة أو أن عامل الصدفة هو الذي قاده إلى هذه الشقة، وعلى سبيل المثال يمكن أن يفتح فمه ويتثاءب وفي يده الأخرى باقة من الورد وكأنه عاشق، أخطأ في شقة عشيقته، أم أن يكون له شكل رجل مثقف يحمل بيده مجلة أدبية؟ أو علبة من الحلويات؟ أم زجاجة مشروب؟ لكن أين سيكون المسدس؟ في جيبه، في أي جيب... بنطاله أم سترته؟ لكنه يستطيع أن يحمل في يده اليسرى باقة ورد بينما يخفي اليمنى والمسدس فيها خلف ظهره، لكن قد يتزامن وقوفه أمام باب الشقة والمسدس خلف ظهره مع مرور أحد سكان البناية بقربه، وليكن طفلاً ما أو أي إنسان آخر؟ كلا، يجب استثناء هذه الحالة، بل إنها لا تستحق التفكير.

التهم قطعة أخرى من «الهامبورغر»، وحل مكان جوعه الخوف مجدداً، وأخذ رأسه بالدوار، لقد تشابكت

أفكاره.. كان يخشى من فكرة بقائه موظفاً جالساً على كرسيه من التاسعة صباحاً وحتى الخامسة مساءً. أما الآن فإنه صار يخشى فقدان عمله، بل إنه صار يشكل خطراً على بكلاو، وبالطبع سيكون أكثر فائدة للشركة منه.. وفجأة هذه الأفكار، باقة ورد ومسدس؟ والعين السحرية في باب الضحية؟ طفل فضولي على درج البناية؟ أما القضية الأساسية!؟ إنها تتلخص بكلمة واحدة لا مفر منها - كريستيان هيلسمان - قاتل... لقد قتل إنساناً.

كم مضى من الوقت على زيارتهم له... توقف عن مضغ طعامه، بالضبط أسبوع كامل لم يتصل به أحدٌ منهم، صمت مطبق. لم يزره أحد من قبلهم، بل إنه لم يجد أية رسالة في صندوقه البريدي حتى ولا إشارة منهم.

يبقى هناك احتمال: - ربما أخطأوا في اختيارهم أو أنهم قد شبهوه بشخص آخر، وبالتالي اختلط الأمر عليهم، وحتماً لن يراهم مرة أخرى، لن يظهروا له مطلقاً: لقد التبس الأمر عليهم وتداركوا خطأهم فيما بعد، والله يخلق من الشبه أربعين، وها قد ابتعدوا عنه. وبالطبع سيدعونه يعيش بسلام وسيكون من المضحك أن ينتظر

اعتذاراً منهم، لن يظهر له أي واحد منهم، لقد انتهى كل شيء، في الحقيقة لم يحدث شيء: لقد كان حديثاً عابراً مع رجل غريب اختلط عليه الأمر فشبهني بأحدهم. في الحياة كثيراً ما يخطىء البشر وهذه ليست أكثر من ذلك.. لكن الشيك.. دق جرس الهاتف، رفع هيلسمان سماعة الهاتف.

ـ ماذا؟ هل توصلت إلى قرار؟.

الصوت نفسه.. إنه صوت الرجل الغريب، كان صوتاً متماسكاً، توقف للحظة ثم كرر السؤال عليه.

انتابت الرعشة أطرافه وأخذ حنكه يرتجف. حاول أن يشرح له، لكن الرجل الغريب قاطعه بهدوء معترضاً على شرحه، الشيء الوحيد الذي علق في ذاكرته بأنه سيعيد اتصاله معه، بعد ثلاثة أيام وعندئذٍ...

في هذه اللحظة بالذات ـ ذكر هيلسمان والدته، «عيناها التي لا يمكن أن تسبر أغوارها، شفتاها القاسيتان بالرغم من الحمرة التي كانت تضعها» كانت تبدو وكأنها من عالم آخر يفصلها عن هذه الحياة، كانت تختلف عن

كثير من الأمهات، لم تكن تتظاهر بأنها إنسانة تحب مساعدة الغير وتتمنى أن تساعدهم إلى آخره.. بل كانت تعبر عن رأيها صراحة ودون مواربة أو خجل: إن ما يهمها هو ذاتها، أن تجابه قدرها الشخصي فقط.. وأنها لا علاقة لها مطلقاً بأقدار الآخرين، بل على كل فرد أن يهتم فقط بنفسه! وليدع الآخرين كل أمام قدره! أليس كذلك؟ استمع يا كريس[1].. هكذا كانت تدعوه عندما كان صغيراً:

ـ خذ مثالاً على ما أقول، والدك... إنه لا يفتأ يردد كلمات الخير وبأنه يريد أن يقدم مساعدته للجميع لكن مساعدته المزعومة هذه هي مجرد ادعاء كاذب، إنه يحاول بذلك أن يخفي أنانيته عن المجتمع بهذه الكلمات المؤازرة. عليك أن تأخذ هذا الدرس بالحسبان: ـ إنه أسوأ مني بكثير، إنه ليس أنانياً فقط، شأنه في نهاية الأمر شأن الآخرين بل زيادة على ذلك فهو ببساطة كذاب كبير.

رأى كريستيان والده في تلك السنوات البعيدة المنسية عندما كانوا يعيشون معاً. إنه يذكر بوضوح تلك المشاهد وكأنها اليوم: «والدته تقف في منتصف الغرفة

وقد وضعت يديها فوق خاصرتها، بينما كان والده جالساً على مقعد وكأنه مذنب» بالطبع ليس مهماً ماهية الكلمات أو الشتائم التي كانت تتفوه بها والدته موجهة إياها إلى والده.. لكن المهم في هذه الذكريات الأليمة بأن أبويه لم يحاولا أحدهما فهم الآخر مطلقاً، بل إن والدته ـ كما يذكر ـ كانت تحاول دائماً بمبرر أو دون مبرر أن توجه عدوانها إلى والده مثيرة بذلك صراخاً وصخباً وشتائم مؤلمة.

أما والده فلم يكن يكلف نفسه السمع أو حتى النظر إليها كوسيلة دفاع... وكأن حديثها موجه إلى إنسان آخر لا يهمه أمره.. لم تكن طيبة قلبه هي السبب في عدم دفاعه عن ذاته أو ضعفه أو محبته الكبيرة لها أو عطفه عليها، بل لشدة حبه لذاته. لم يكن يريد أن تثار أعصابه أو أن يبذل شيئاً من الجهد في سبيل إنهاء هذه الفضائح التي كان يدرك بأن لا حدود لها، كان يدعها تغلي إلى أن تهمد من تلقاء ذاتها وأحياناً كان ينهض من مقعده بهدوء وثقة كبيرة ليدخن سيكارة بينما كانت زوجته في قمة غضبها أو هياجها وانفعالها، ومن ثم ليعود إلى مقعده

كي يجلس وليستمع بانتباه شديد إلى كلمات غضبها، هازاً رأسه بين الحين والآخر مؤكداً، وكأن حديثها لا علاقة له بشخصه، كانت له أعصاب يحسد عليها.

ترك والده البيت مغادراً إلى اللا عودة، عندما لم يتجاوز كريستيان العاشرة من عمره بعد، قال لابنه معتذراً:

ـ لا أريد أن أقول لك (عندما تكبر ستفهم كل شيء)، أعتقد أنه قد أصبح الأمر واضحاً بالنسبة لك أنت أيضاً، سأحاول جاهداً أن أقدم المساعدة التي تلزمك. من المؤسف بالنسبة لك إنك لا تستطيع أن تجد مكاناً آخر يؤويك، أما أن آخذك معي؟.. لوح أباه بيده وراح يجمع أشياءه.

خلال الخمسة والعشرين عاماً الماضية لم يشعر يوماً واحداً بأن والده قد ساعده بشيء ما. لقد صار بالنسبة إليه كنهر جف ماؤه. بغض النظر عن ذلك فإن الشيء الذي استرعى انتباه كريستيان هو سلوك والده وهدوؤه. كان يحتاج إلى هذا الهدوء، ولأول مرة خلال الخمسة والعشرين عاماً الماضية. قرر أن يزوره طلباً لمساعدته، لم

تكن نية كريستيان زيارة والده لكونه يريد منه حلاً لمشكلته هذه التي يعاني منها.. بل ببساطة، كان يريد أن يجلس إلى إنسان لديه من الهدوء والطمأنينة احتياطي لا يقدر، محاولاً من خلال ذلك أن يستدين منه شيئاً من الثقة بالنفس ليستطيع من خلالها أن ينظر في عيون قدره بشيء من الثبات والرجولة مهما كانت نتائجها.

تحدث إليه بالهاتف أحس من نبرة صوته بأن والده لم يكن متحمساً للقائه، لكنه استطاع أن يلمس فيه شيئاً من الفرح وكأنهما افترقا البارحة.. طلب من ابنه أن يجلب معه شيئاً من الفستق المملح وبضع زجاجات من البيرة

لم يلتق كريستيان بوالده منذ سنوات عديدة... عندما كان صغيراً، لم تكن إمارات التشابه الوراثي بينهما واضحة كما هي عليه الآن... فقد كان يقف في فرجة الباب المفتوح رجل، يرتدي روباً خفيفاً شديد الشبه بكريستيان، لكنه أكبر منه سناً وقد بدت عليه مظاهر الشيخوخة.

ـ ادخل.

أطاع كريستيان والده وهو لا يستطيع أن يبعد نظره عن يديه: «في وقت ما احتضنت هاتان اليد ان والدته، وكان كريستيان ثمرة لهذا الاحتضان، هاتان اليديان دفعتاه إلى هذه الحياة التي تشابكت ـ الآن عليه ـ أمورها وهما لا تستطيعان الآن تقديم أي عون يذكر له».

كانت شقة والده شديدة النظافة والترتيب.

ـ كيف حالك (سأل كريستيان بود وصداقة محدقاً في عيون والده).

ـ كلفت بوظيفة المدعي العام لشؤون البيئة، وبالتالي فإن مسؤولية سوء الاحتراق الفني ووجود نواتج وعوادم الاحتراق تقع على عاتقي.

ـ لماذا؟. تساءل كريستيان بغير إرادته.

عصر والده كفيه:

ـ من الصعب أن أشرح لك ذلك لأن الإصابة بفيروس «السلطة» يجعل من الموظف صاحب نفوذ. وبالتالي فإن الناس يقدمون إليه جميع مظاهر الاحترام، أملاً بأن تُمرّق لهم موضوعاً ما. حتى أعز أصدقائك،

عندما يقفون لتحيتك، أو لتبادل الحديث معك فإن بعضهم يحاول من خلال ذلك «مستغلاً هذه العلاقة»، أن تنفذ له خدمة ما.. وعندئذٍ أقرر هل يستحق هذا الموضوع أن أتدخل من أجله...

ـ أتعتقد بأن طريقتك هذه في الحياة تتضمن شيئاً من المتعة؟ ـ كان هيلسمان الصغير يتفحص بعينيه غرف الشقة، كانت هناك غرفة اخرى كبيرة لها باب أبيض اللون واسع.. لم يكن يعرف عدد الغرف التي تتألف منها شقته.

لم يجب والده على سؤاله، بل وضع يده على ركبة ابنه:

ـ إذا كنت بحاجة إلى شيء ما، فإنني ملزم بتنفيذه لكونك أقرب الناس إلي.

ـ لست بحاجة إلى أي شيء ـ أجابه كريستيان بشيء يشبه التصميم ـ هل أدهشتك بجوابي؟.

بقيت يده على ركبة ابنه.

ـ إذا أردت الحقيقة، نعم. لقد تعود الناس أن

يستنزفوا الزمن بل يعتصروه إلى آخر لحظة... وبذلك يضيعون أوقات أصدقائهم بلا معنى.

كان هيلسمان «الصغير» يفكر لنفسه لو لم يلتق هذا الإنسان بوالدته في يوم من الأيام لما كان كريستيان قد أتى إلى هذه الحياة المتعبة ولما كان قد جاء إليه ذاك الغريب واقتراحه «أن يقتل إنساناً». ماذا لو تحدثت عن هذه الصفقة مع أبي؟ هل سيفكر هو الآخر بأنني أستغفله أو أكذب عليه؟ وهل سيعتقد بأنني أبتزه؟ أعتقد أن ما يؤرقه الآن هو التساؤل عن أسباب زيارتي هذه له.

ـ لقد كنت في زيارة مماثلة لوالدتي ـ تكلم كريستيان دون أن ينظر إلى والده متعمداً عدم النظر إليه، كي لا يضعه وعلى مرأى من نظراته في موقع الإحراج.

رفع هليسمان الكبير، يده عن ركبة ابنه وسأله بدوره:

ـ كيف حالها؟.

ـ كل شيء على ما يرام، «أجابه كريستيان بجملة غير محددة» وفكر لنفسه: أعتقد كنت سأدخل شيئاً من

الفرح إلى قلب العجوز، لو قلت له بأن الشيخوخة قد وصلت إليها أيضاً، إنني متأكد بأنه لم يبق لها مكان في قلبه ومنذ زمن طويل، منذ خمسة وعشرين عاماً.

- إيه.. نعم (نظر هيلسمان الأب إلى ابنه متمعناً): - شاب فارع الطول متماسك البنية والقوام تبدو على وجهه علامات الجدية - إه.. يا زمن، لا أريد أن أتعرض إلى نقاشات لا فائدة منها، فلكل إنسان قدره وعليه أن يتفاعل مع الحياة بقدر ما يسمح له القدر.

لم تزد هذه العبارات التي تلفظ بها المحامي العجوز ابنه، إلا شعوراً متزايداً من الغضب والانفعال.

- هل يضايقك هذا الإحساس، لتقصيرك في الحياة العائلية أم لكونك أصبحت مدعياً عاماً؟

- لا تتلفظ بترهات.. إنني متفهم للأسباب التي دعتك إلى عدم محبتي واستلطافي.. حسناً قلت بأن أمك على ما يرام...؟ «وفجأة استرسل في حديثه».. لن أنسى مطلقاً ذاك اليوم عندما وضعت فيه صباغاً وكريماً أبيض على وجهها وخرجت...

أراد كريستيان أن ينقل إليه رأيه بصوت مسموع بأنه

كأب لم يحب زوجته أبداً، لكن هذا من جهة أخرى سيعني أنه أي كريستيان كان ثمرة غير مرغوب فيها، وأنه طفل غير محبوب منذ ساعة مولده... بالتالي فإن والده كان متحاملاً على نفسه عندما أعطاه اسمه.

ـ هل أنت مسرور من عملك؟ «أحس من نبرة والده بشيء من الشعور بالمذلة والخجل» هز كريستيان يده.

ـ كم يدفعون لك مرتباً لقاء عملك؟ سأله أباه وهو يضيف شيئاً من الملح إلى حبوب الفستق، لاحظ أن ولده ينظر إليه فأكمل قائلاً:

ـ إنني أفضل الفستق مملحاً أثناء تناول البيرة، بشكل عام يصعب التخلص من هذه العادة.

ـ هل هناك ضرورة كي تتخلص منها؟.

ـ في عمرك هذا يبدو لك بأن هذا الشيء قد لا يكون له ضرورة... كم عمرك الآن..؟ ـ تجعد وجه هيلسمان الكبير مفكراً...

ـ خمسة وثلاثون عاماً ـ (لم يستغرب كريستيان سؤال والده لأن أغلب الآباء ينسون مع الزمن في أية سنة

أنجبوا أبناءهم) يا لها من حياة مجنونة.

- كنت أعتقد أنك لم تبلغ الثلاثين بعد... صحيح أيام الحرب الكورية والعمليات القتالية في «كومي» ونزاعي عندئذٍ مع السيناتور صاحب الحواجز الكثيفة.. في تلك السنة بالضبط كانت ولادتك، يمكن أن يكون قد حان الوقت لتكوّن أسرتك، ودون أن ينتظر جواباً من ابنه أكمل قائلاً:

- بالرغم من أنني كنت أعتقد طوال حياتي، بأن الزواج هو فكرة الشيطان، الأسرة، التعقيدات، قد أكون مخطئاً!؟.

- يمكن... «رفع كريستيان كتفيه» أن تتأكد من ذلك عندما يصل بك العمر إلى ما بعد السبعين.

- أعتقد بأنك لن تتخلى عني أليس كذلك، عندما... أتذكر جارنا كيلمان؟.. كان مرض الفالج قد حطمه، وأوصله إلى حالة مأساوية، هل ستتخلى عني لو وصلت إلى حالته، أو إذا استدعتني ملائكة الرحمن إلى حضرة رب الكون؟.. «ابتسم له أبوه بحزن، ابتسامة هزيلة

محاولاً أن يمنح هذا الحديث شيئاً من الدعابة، دون أن يفقد من خلاله احترامه لنفسه».

ـ ما الذي تظنه؟ نهض هيلسمان الصغير.

أحس بأن والده يحاول أن يبحث عن كلمات مناسبة ليسد بها هذه الفجوة.

ـ بالطبع.. لم آخذ هذا الأمر بالحسبان يا بني أنت على حق لقد عشت لنفسي فقط، لكن يمكن أن تكون أحسن مني؟.. متسامحاً.

ـ لا أعتقد ـ «قال له كريستيان وهو يحاول أن يتجه إلى الباب خارجاً بعد أن توقف للحظة» نحن جميعاً متساوون لكن لكل واحد منا ظروفه الخاصة به وبالطبع تختلف هذه الظروف عن بعضها البعض.

خرج هيلسمان قبل أن يستمع إلى كلام والده، بقيت كلمات والده بعيدة عن سمعه، تطايرت مع الهواء، هكذا تبدى له بأن ما تمتم به والده لحظة خروجه قد نقله الهواء أو تساقط مع قطرات المطر. رفع كريستيان ياقة سترته، استدار بحدة، كان والده واقفاً في فتحة الباب،

وكأنه يرى وجهه لأول مرة: ـ كان وجهاً مجعداً وقد تدحرجت دمعتان فوق خده وأخذتا مسارهما بين تجاعيد وجهه.

ازدادت كمية الهطول وشكلت حاجزاً بينه وبين وجهه، استدار بوجهه ثم أسرع راكضاً إلى سيارته. جلس فيها ولغزارة المطر لم يعد يرى من بللور النافذة وجه والده.

فكر هيلسمان لنفسه «أعتقد أنها المرة الأخيرة التي سأرى فيها وجهه، وجه ذلك الإنسان الذي أدين له بالحياة مع أني لست مديناً له بشيء».

في تلك الليلة لم يستطع هيلسمان أن ينام للحظة واحدة وفي الصباح كان هيئته أقرب إلى جثة متحركة، وعندما وصل إلى الشركة استقبله بكلاو، بهياجه، فيما كان ينظر بشيء من المكر إلى مرؤوسيه:

ـ ماذا دهاك يا هيلسمان، وكأن مسّاً ما قد أصابك؟ لم أكن أتصوّرُك أنانياً لهذه الدرجة. بالطبع هذا ليس سيئاً وبشكل خاص فيما يتعلق بمصالح شركتنا، (ثم أدار وجهه بانزعاج).

في نهاية الدوام تلفنت إليه صديقته جوان، لم تطل

في حديثها معه، بل قالت له جملة واحدة فقط.

ـ يا لك من وقح «ثم أغلقت سماعة الهاتف».

فكر كريستيان لنفسه: ـ إنها على حق فقد مضى أسبوع بأكمله دون أن يزورها أو أن يتحدث إليها بالهاتف على الأقل، ربما كانت ستفهم وضعي وحالتي؟ إنها آخر أمل لي في هذه القضية، بالطبع صديقك أو أمك أو أباك، قد لا يفهمونك كما تفهمك الفتاة التي تحبك...: ـ انتبه إلى نفسه، تحبك؟.. وأنت؟ على الأرجح انه يحبها بدوره أيضاً، في الحقيقة لو أن للحب وجوداً، عندئذٍ.. يمكن أن تطلق هذه الكلمة على العلاقة التي تجمعه بها.

لقد أعطوه مهلة للتفكير، مدتها ثلاثة أيام فقط. لم يكن يعرف سبباً لإيمانه بأنها ستكون ثلاثة أيام بالضبط ولن يوافقوا أبداً على تمديدها، جاء هيلسمان لزيارة صديقته حاملاً معه باقة من الورد. دق جرس الباب، كان للجرس لحن موسيقي جميل أعجبه، ضغط مرة أخرى، فتحت له الباب، مد لها باقة الورد مبتسماً، بينما كانت يده الأخرى تقوم باحتضانها.

دخل إلى الشقة نظرت إليه الفتاة بعيون دامعة، اقترب منها، قبلها في خدها مرتين، آملاً بالمصالحة. جلس كريستيان في المطبخ إلى الطاولة، كانت عليها قطع من الكاتو، بينما كانت جوان تبحث عن مزهرية فارغة لتضع فيها باقة الورد.

ـ ماذا أصابك؟ سألها كريستيان مبتسماً بحياد.

أرادت أن ترد عليه متصنعة الغضب منه، لكن عيونها فضحتها، وضعت المزهرية على الطاولة ثم اقتربت منه وجلست فوق ركبتيه، احتضنها هيلسمان برغبة وأخذ يقبل رقبتها الدافئة.

عندما فتحت جوان له باب الشقة، كانت المسافة التي تفصله عنها ليست أكثر من ثلاث إلى أربع خطوات...... «من مسافة كهذه لا يمكن أبداً أن يخطىء الهدف...».

ـ لماذا لم تُتلفن إلي خلال الأسبوع الماضي؟.

بقي هيلسمان محافظاً على صمته فيما كان يتابع مضغ لقمته وقد رفع كتفيه.

ـ لماذا؟ لماذا؟ «سألته بحدة فميا كانت تشد له أذنه».

أبعد هيلسمان الفتاة عنه، نهض واضعاً يديه في جيبه.

ـ لدي بعض المشاكل.

سألته جوان بشيء من القلق يرافقه شعور بالغيرة والشك.

ـ هل هناك ما يقلق؟.

رفع هيلسمان كتفيه:

ـ هذا يتعلق بالزاوية التي ينظر منها إلى...

اقتربت جوان منه أكثر وأخذت تمسح شعره بيدها:

ـ لن أسمح لأحد أن يعكر مزاجك أبداً، لا تنس أنني أقف إلى جانبك.

احتضنا بعضهما البعض وبقيا لمدة دقيقة على هذه الحالة وربما أكثر، بعد ذلك تراجع هيلسمان خطوة إلى الوراء ونظر إلى عينيها قائلاً:

ـ لقد عُرض عليَّ أن أقتل إنساناً.

وفجأة ازدادت عينا جوان دكنة وتغيرت ملامحها، ابتسم كريستيان لنفسه ابتسامة ساخرة ملاحظاً بأنه أصبح يتكلم عن القتل بهدوء أعصاب وأحس أنها هي أيضاً لن تصدقه. بالطبع لن يأخذ أحد كلامه على محمل من الجد، لماذا؟ ألأنه يقول الحقيقة؟...

أصيبت جوان بحالة أشبه بالهستيريا فأخذت تصرخ به:

ـ لقد فهمت أنك، منذ زمن تحاول أن تتخلص مني، أن ترميني بعد أن مللت مني.. حسناً، كل واحد منا بإمكانه أن يتصرف مع الحياة بالطريقة التي يراها مناسبة، لكن لماذا جئت إليَّ بهذه المسرحية... لماذا كذبك هذا؟ أيعقل بأنه لم يكن بإمكانك أن تنهي علاقتك معي بدون هذه الكذبة؟ ويا لها من كذبة... لقد عرضوا عليه أن يقتل إنساناً.. أن يقتل إنساناً! هل تعتقد بأنه لديك هذه المقدرة؟ يا لك من إنسان حقير ونذل.

شعر كريستيان بأنه قد عاش لحظات من الغبن والألم والمرارة. لم يدافع عن نفسه. أدار لها ظهره خارجاً ودون كلمة وداع. ركضت جوان وراءه وهي تولول باكية

ولحقت به أمام عتبة الباب، التفت إليها. كان شعرها منفوشاً وصدرها يعلو ويهبط من شدة الغضب والاهتياج. لم يستطع أن يفهم من كلامها أي شيء وللحظة هدأت وبقيا ينظران إلى بعضهما البعض بصمت.

ضغط كريستيان، علىزر المصعد وبقي بانتظاره، نظر إليها. كانت تقف أمام الباب مثلها مثل بروست ووالدته ووالده.. رأى فيها إنساناً يقف في فتحة الباب ويجب أن يطلق النار عليه.. لقد توقف منذ زمن بعيد عن رغبة التفكير، أي إنسان هو هذا الواقف في عتبة الباب:

ـ صديق، أم أب، أم عشيقة؟.

ضغط مرة أخرى على زر المصعد، أغلق الباب خلفه وأخذ المصعد بالهبوط. في تلك اللحظة عرف بأن مشاعره كانت صادقة حيال هذه الإنسانة، لقد أحبها كما يحب جميع البشر، لقد كانت إنساناً عزيزاً جداً إلى قلبه.

في اليوم الثالث بالضبط، تلفنوا له، في مكان عمله. هبط هيلسمان للقائهم في البهو، كانوا كالمرة الأولى بانتظاره، تبادلوا معه التحية بحرارة. ـ هل توصلت إلى

رأي؟ سأله الأكبر سناً، الرجل الذي كان قد شبهه بالعجل وقد ظهرت عضلاته كملاكم، من تحت قميصه.

كان كريستيان قد قرر أن يجابههم متمالكاً نفسه ضابطاً لأعصابه، كرجل حقيقي.

فرك يديه متمهلاً قبل أن يجيب.

ـ لنفترض أنني رفضت عرضكم؟.

ضحك الرجل ـ العجل ـ مقهقهاً ثم فرك يديه وكأنه قد تلقى دعوة لمباراة أو للعبة مضمونة...

ـ عندئذٍ.. سنضطر آسفين إلى قطع أذنيك.

شعر كريستيان بأنه قد تعرض لصعقة ما، وللحظة فقد رجولته وبقي لزمن طويل يفكر بالابتسامة التي رافقت جواب الرجل الغريب دون أن يفهم مغزاها، هل كان كلامه مجرد هزار أم تحذيراً شديد اللهجة؟.

لم يبقَ أمامه إلا أن يعطي موافقته.

وافقهم دون أن يناقشهم في التفاصيل. وعند المساء تناول قرصاً منوماً كي يكون على أتم الجاهزية ليذهب يوم

السبت القادم كي يرشدوه إلى المنطقة التي يقع فيها بيت الضحية ومن ثم سيأخذونه إلى نادي الرماية، كي يتدرب بشكل أفضل على التصويب وإطلاق النار بغض النظر عن أن المسافة التي سيطلق منها النار لا تتجاوز أكثر من ثلاث إلى أربع خطوات.

بقي هيلسمان يقظاً لزمن طويل دون أن يتمكن من النوم، متقلباً عل ظهره تارة ومن ثم على جنبه أو على بطنه، ليعود مرة أخرى إلى الوضعية السابقة. في صباح السبت ذهب هيلسمان إلى نادي الرماية، برفقة الرجل «العجل» ومرافقه. وشعر بأنهم قد ارتاحوا للنتائج التي أحرزها في إصابة الأهداف... حقيقة لم يكن هيلسمان قناصاً سيئاً.

كان قد قبض على المسدس بيديه الاثنتين ووجهه إلى الهدف المطلوب إصابته، في البداية، عندما ضغط على الزناد شعر بأنه يقاوم ضغطاً كبيراً، لكنه بعد عدة محاولات، تعود عليه، وأصبح بإمكانه أن يسيطر على الارتداد الناجم عن الطلق الناري.

بعد ساعة ونصف عاد مدربه معه. كان يشعر بالمتعة

عندما أخذ المدرب يصفه، مقدماً تقريره للرجل «العجل»:

ـ ممتاز... لا حاجة لتدريبه أكثر، بالطبع لمباريات الرماية يحتاج إلى تدريب أكثر.. لكن لإصابة هدف قريب... ممتاز.

في الشارع كان المطر قد بدأ بالهطول، وقرر الرجل «العجل» ومرافقه، أن يؤجلا إلى اليوم التالي، إطلاع كريستيان على عنوان الضحية.. فهم كريستيان من قرارهم هذا أن هطول المطر ليس سبباً لتأجيل القرار، بل قد يكون هناك سبب ذاتي آخر لديهم غيَّر من اتجاه خطتهم لهذا اليوم، فقد قال الرجل الأكبر سناً والذي كان هيلسمان يصر على تشبيهه «بالعجل»:

ـ الأفضل أن نعاين الموقف في يوم صحو، وليس في طقس ماطر كهذا.

ـ يا لها من حجة واهية (فكر كريستيان لنفسه) وما الفرق في ذلك؟ على العكس من ذلك، فتنفيذ مقترح القتل في طقس كهذا، أفضل... لأنه يقلل من فرص لفت الأنظار لكن ماذا بقي عليك؟... نعم عليك أن تصدقهم:

فهم أصحاب الخبرة، أما أنت يا هيلسمان فصاحب رغبة ملخصها، أن تتخلص من هذه القضية وبأسرع وقت ممكن.

توقفت سيارتهم أمام مدخل البناية التي يسكنها هيلسمان. ربت الرجل «العجل» على ظهر كريستيان مودعاً، بعد أن دفع إليه بمسدس مزود بكاتم صوت.

وضع كريستيان المسدس فوق الطاولة وبقي ينظر إليه ثم أخفاه في درج منضدة صغير في غرفة نومه. بعد قليل أخرجه ووضعه تحت وسادته، لكنه لم يشعر بالراحة، حمله بيده متفحصاً، ثم وضعه في الخزانة إلى جانب شهادة الدبلوم والشهادات الأخرى التي كان قد حصل عليها والتي تثبت جدارته وتفوقه في ميادين العمل.

كان قد نام ليلته براحة تامة رغم ما حلم به، من أنهم: جاؤوا إليه وهبط إليهم (في البداية) مسرعاً، أحس بشيء من الراحة نحوهم.. لكنه انقبض عندما انعطفت السيارة إلى الحارة التي تسكنها والدته.. لقد كانت هذه الحارة معروفة بالنسبة إليه، إذ لديه عدة أصدقاء فيها. بالقرب من المعمل كان يقع منزل والدته. استعاد هيلسمان

الراحة عندما أصبحت الحارة خلفهم وأخذت السيارة تنعطف من شارع إلى آخر.. توقفت السيارة أمام بناء، نظر هيلسمان إليه، وللحظة أصيب بالشلل، كانت تطل عليه شقة صديقه بروست.

هبط الرجل «العجل» من السيارة، بعد أن وضع في يد هيلسمان ورقة كتب عليها شيء ما.

نزل هيلسمان من السيارة، وعندما قرأ العنوان... قفز من نومه دفعة واحدة...

نظر إلى ساعته.. هرع إلى الحمام وأخذ يحلق وجهه.. كانت أصابعه ترتجف وهو يسير بشفرة الحلاقة صعوداً وهبوطاً فوق ذقنه... أحس بخيط من الدم يسير من قرب حنجرته كان قد جرح نفسه جرّاء اضطرابه.. غسل وجهه بالماء البارد ثم أخذ يفركها بالمنشفة.

سمع من الشارع زموراً خاصاً. خرج إلى الشرفة.. لوح بيده وهبط للقائهم مسرعاً، ولسعادته كانت السيارة تنطلق بعيداً بعيداً عن تلك الحارات والشوارع التي يعرفها.. إلى منطقة لم يذهب إليها مسبقاً.

قام الرجل «العجل» بالإشارة إلى البناية التي تقطنها الضحية.. كان بناءً حديثاً لكنه لا يختلف عن الأبنية الأخرى.. صعد في مخيلته إلى الشقة المطلوبة وأخذ يتصور مسرح الجريمة، وفجأة قاطع الرجل «العجل» تفكيره قائلاً:

- الطابق الرابع، غداً في الصباح الباكر، سيكون باب البناية مفتوحاً.

في البيت.. عمد كريستيان عدة مرات إلى تكرار الطريقة التي تعلمها في نادي الرماية، وتأكد من أنه قد أتقنها، لم يستطع أن ينام. كان يفهم بأنه كلما اقترب الوقت من الموعد الذي سينفذ فيه الجريمة، كلما شعر بأن وقت التغيير الذي سيحصل فيه قد آن.

في البداية تلفن له بروست، ثم تلفنت له والدته وشكرته على الليكيور الذي جلبه لها، ووصفته بأنه مشروب رائع... حسناً في نهاية المطاف إذا تركنا كل هذه الجزئيات على حدة، ماذا بقي له؟ إنه كريستيان هيلسمان، بكامل قواه العقلية ومداركه الحسيّة، وبإرادته ودون أي تأثير عليها قد وافق على عقد صفقة: - أن ينفذ

جريمة قتل إنسان مع سابق الترصد والتصميم. لقد حاول (في البداية) جهده أن يستمع إلى نصائح أقرب الناس إليه، وأن ينشد لديهم المؤازرة في محاوله فهمه أو صرفه عن هذا المقترح... لكن ماذا كانت النتائج؟ لم يصدق أحد منهم كلامه، عندئذٍ فهم كريستيان، أن محاولة إفهامهم، هي قضية مستحيلة، بل أن محاولة تفهمهم للمشكلة التي عرضها عليهم لم تلاقِ لديهم أية حلول إيجابية، فقط كل ما استطاعوا أن يقدموه له كان عبارة عن مقعد مريح وشيء من الحلوى أو الشراب وبعض الابتسامات إلى جانب عدم الارتياح - بالطبع لا أحد منهم يريد أن يقلق راحته إن أغلب الأقرباء يفضلون الراحة في ظل الأمان والنجاح، بعيداً عن هموم الآخرين.. وبالطبع فإن هيلسمان - في هذه الحالة - ينتمي إلى طرف (الآخرين).

تذكر هيلسمان عند مقابلته لبكلاو، أن بكلاو قد حدثه على انفراد قائلاً:

- لقد ناقش مجلس الإدارة قرار ترفيعك، وستكون مستشاراً لرئيس مجلس الإدارة... بالطبع هناك شيء من

التعنت والمعارضة من قبل بعض الأعضاء فيما يخص سنك.. لكن هذه ليست مشكلة وسيتم تذليلها.. وسأحاول أن أحطم اعتراضاتهم كن مطمئناً. إن هذا سيؤهلك مستقبلاً لمنصب معاون لرئيس مجلس الإدارة... على كل حال أرجو أن تزورني في وقت لاحق كي نكمل حديثنا.

بالطبع كان هيلسمان مدركاً أخلاقية بكلاو، وحذره منه في الأيام الأخيرة، لكنه عند استلامه لمنصب مستشارٍ لرئيس مجلس الإدارة سيكون «مستقبلاً» البديل رقم واحد لبكلاو، نفسه. وشعر بأن أحلامه قد تحققت وأن المنصب الذي يحلم به قد اقترب منه...

إن اقتراب موعد تنفيذ الصفقة، قد بدأ يسبب له مزيداً من القلق والتوتر والرعب، أجبر كريستيان نفسه على أن يتمالك أعصابه وبدأ يستذكر جميع المراحل التي يجب أن يتبعها من البداية وحتى النهاية.

لكن هل هناك مجال «لفكرة» أن يغدروا به.. أو أن يقوموا بتسليمه لرجال الشرطة مثلاً...؟ دعك من هذه الأفكار السخيفة، في هذه الحالة بالطبع لن يبقى ساكتاً

وسيعترف بأنهم قد طلبوا منه أن ينفذ لهم هذه الجريمة.. أم أن يذهب الآن من تلقاء نفسه إلى الشرطة، شارحاً لهم أبعاد الصفقة وبذلك يضع حداً لهذه الحالة.. أخيراً وصل إلى قرار أن يبقى ساكتاً، هذا أفضل له بل وللجميع.. لكن ألن يقدموا على قتله أو تصفيته مباشرة بعد إتمام الصفقة؟ ولماذا؟.

نهض هيلسمان في الصباح الباكر، أراد أن يتصل مع جوان، رفع سماعة الهاتف عدة مرات، لكنه لم يصل إلى قرار فأعادها إلى مكانها، حلق ذقنه بشكل متقن ثم ارتدى ثيابه دون تعجل وقام بتزرير سترته ودس مسدسه في جيبه الداخلي... نظر إلى المرآة ليتأكد من أن منظره عادي وغير ملفت للنظر. تبين له بأن المسدس قد يلاحظه أحدهم. فقد كان صدره منتفخاً بعض الشيء، أخرج المسدس ووضعه في حزامه عند خاصرته. في البداية، أحس بأنه يضايقه، لكنه بعد فترة من الزمن سهى عن برودة فولاذ المسدس الذي كان يدغدغه في البداية.

ومرة أخرى عاد يفكر بالعين السحرية في أعلى الباب. لنفترض أنه لم يفتح الباب، إذ ربما جعله شيء ما

يتوجس أو يدعوه إلى الشك في هذه الزيارة الصباحية المبكرة... شيء ما داخلي قد يحذره ويشعره بالخطر. إذا حدث ذلك، فإن كريستيان لن يقوم أبداً بإعادة الكرة، وسيعتبر أن الصفقة قد انتهت.

ارتدى هيلسمان قفازاً كان قد اشتراه على سبيل الاحتياط. في السادسة صباحاً كان هيلسمان قد أخذ يهبط الدرج، جلس في سيارته وأخذ يقودها إلى الهدف الذي تم إطلاعه عليه البارحة، أشعل راديو سيارته، انبعثت موسيقى صباحية هادئة... وصل هيلسمان بسرعة أدهشته. أوقف سيارته على مسافة عشرين متراً من البناية.. كان باب البناية مفتوحاً.. خرج من السيارة لم يطفيء محركها، نظر إلى السماء، كانت بلون الرصاص والأرض مشبعة بالرطوبة، قفز مبتعداً عن بقع الماء المتجمعة في المناطق المنخفضة من إسفلت الطريق - (يبدو أن المطر قد هطل ليلة البارحة)، هرع داخلاً من بوابة البناية، تلفت يميناً ثم شمالاً.. لا أحد.

وضع يده فوق بطنه متأكداً من وضعية مسدسه. كانت حرارة جسده قد أعطت الفولاذ شيئاً من الدفء..

تقدم باتجاه المصعد. أحس أن دقات قلبه قد ازدادت.

لنفترض بأن أحدهم قام بإغلاق باب البناية من الخارج!؟... عندئذٍ سيقع في المصيدة... أصيب هيلسمان للحظة بشيء من الرعب انتبه إلى نفسه تذكر بأنه لم يضع كاتم الصوت على فوهة المسدس... التجأ إلى ظل الدرج وقام بتركيبه، ثم أعاده إلى خاصرته. ضغط الزر الذي كتب إلى جانبه ـ الطابق الرابع. أخذ المصعد بالحركة نحو الأعلى، نحو الهدف.

توقف أمام فسحة كانت إنارتها سيئة للغاية، لحسن الحظ كان الطابق الرابع يتألف من شقة واحدة لها باب واحد فقط ـ طابق بشقة واحدة، هذا شيء رائع، قرع جرس الشقة (أحس وكأن الصوت بلغ جميع سكان البناية)، جاءه صوت من داخل الشقة. فتح الباب: ـ «كانت وضعية الضحية وهي تقف في الباب تماماً كما تصورها، واقفاً على عتبة الباب، لا يمكن أن يخطئه من هذه المسافة، لكن الشيء الذي اختلف عن مخيلته هو أن الضحية لم يشعل الضوء من الداخل، وبقيت الشقة تسبح في الظلام وبالتالي بقي وجه الضحية مجهولاً له...

انتصب أمام جسد أسود مكلل بالظلام.. أخرج مسدسه وأطلق منه على الهدف، استمع إلى صوت إطلاقة، كان صوتاً مكتوماً» وخلال إطلاقه تنامى إلى سمعه جملة تلفظ بها الضحية:

ـ آخ.. هذا أنت؟.

بالضبط في الساعة التاسعة إلا عشر دقائق كان هيلسمان جالساً إلى طاولته في مكان عمله. لقد نفذ مضمون العقد الذي أبرمه مع الرجل ـ العجل. لقد انتهى كل شيء، لو أرادو أن يتخلصوا منه، لنفذوا ذلك به مباشرة عقب تنفيذه الصفقة... إذاً لقد انتهى كل شيء.

فتح نافذة مكتبه وأخرج مجموعة من البيانات والأوراق وأخذ يراجعها... كان يعمل بنشاط وبوتيرة حسنة، لقد كان موقناً من هذه الناحية، فإن رؤساءه كانوا ـ دائماً ـ يثنون عليه ويشهدون بحسن إدارته وتنفيذه للأعمال المكلف بها.

ابتعد عن طاولته، لقد مضى الوقت بسرعة، إنها الحادية عشرة، قريباً سيحصل على المبلغ المتبقي. بقي

ساعة من الزمن وبعدها سينتهي كل شيء. نظر إلى وجهه في المرآة، كان وجهه حليقاً لامعاً وقد ظهر شيء من القسوة فوق شفتيه وبعض التوتر. بالضبط شيء من التوجس والحذر كان يُرى ذلك في عيونه.

تنبه إلى رنين جرس الهاتف، رفع هيلسمان السماعة دون تسرع، كان على الطرف الآخر من الهاتف الرجل ـ العجل، هذا هو.. سيحدد لي موعداً كي أقبض المتبقي من المبلغ، يا له من إنسان دقيق، بغض النظر عن شكله...

ارتدى هيلسمان سترته وحسّن من وضعية ربطة عنقه ونزل بتؤدة:

ألقى التحية عليهم ونظر إلى وجوههم، لم يعجبه شكلهم... كان الرجل ـ العجل، قد رسم على شفتيه شبح ابتسامة سخرية. تحامل كريستيان على نفسه وبصعوبة بلع ريقه، بينما كان مرافقه يحمل في يده حقيبة صغيرة. أدار وجهه عنه متطلعاً بنظرة شاردة إلى الشارع. رد عليه الرجل العجوز ببرود:

ـ أهلاً... (وهو يلوح بصحيفة كانت في يده، انتبه

هيلسمان إلى الصحيفة، كانت إحدى أكثر الصحف انتشاراً، قفز قلبه من بين أضلاعه).

فتح الرجل - العجل، الصفحة الأولى وأشار إلى عنوان رئيسي فيها كتب باللون الأحمر. لم يستطع كريستيان للوهلة الأولى أن يقرأ الحروف والكلمات، أحس بغمامة قد حجبت عنه الرؤيا، تمالك نفسه وأخذ يقرأ:

«محاولة قتل... لنائب رئيس مجلس إدارة شركة فايف ديز. مستر بكلاوا فقد قام مجهول بالدخول إلى منزل السيد بكلاو، بعد أن تمكن من معرفة الرقم السري لباب البناية الخارجي، وعلى ما يبدو فإن القاتل كان معروفاً من قبل بكلاو، وإلا فإنه لما كان قد فتح له باب شقته.

المعروف عن المستر بكلاو، بأنه يتصف - كغيره من رجال الأعمال - بالحذر الشديد وخاصة في علاقاته مع الغرباء بل والشك بهم. بالطبع كان له أعداء كثيرون لكنهم لم يستطيعوا أن يتمكنوا منه سواء في المكتب، أو المنزل إلى أن وجدوا شخصاً معروفاً وبشكل جيد من قبل

المستر بكلاو، واستطاعوا أن يشتروه كي يقوم بهذه المحاولة الآثمة...».

أصيب هيلسمان برعشة شديدة، لقد صار واضحاً بالنسبة إليه، فقد قتل بكلاو... لقد وضع بنفسه صليباً جنائزياً على ذلك المنصب الذي وعده به بكلاو... إنها النهاية. لكن الشيء الأكثر رعباً لم يقرأه بعد...

تابع قراءته:

«أصيب المستر بكلاو، بجراح خطيرة وحالته ميؤوس منها، لكنه استطاع أن يخبر رجال الشرطة باسم الجاني، ولأسباب خاصة بالتحقيق لم توافق الجهات الأمنية على التصريح باسمه».

سقطت الصحيفة من يد هيلسمان وصار يرتجف.. لم يبق عليه إلا الهرب، وفي هذه اللحظة بالذات، عليه أن ينفذ بجلده وخلال ساعات، سيتم تعميم اسمه على جميع مراكز الشرطة إضافة إلى صورته وستتم ملاحقته، عليه أن يختفي؟ لكن أين... إلى أين؟ دون نقود. قال هيلسمان متلعثماً:

ـ النقود.. نقودي...

قام الرجل «العجل»، بلف الصحيفة على شكل أسطوانة صغيرة ووضعها في جيبه قبل أن يرد عليه:

ـ لم يتم إنجاز الصفقة يا هيلسمان، لأنك لم تقتله، لا أستطيع أن أتصور كيف أن رجلاً مثلك لم يتمكن من قتل إنسان من هذه المسافة القريبة، أن يجهز عليه بشكل كامل... لقد أصبح اسمك معروفاً لدى الشرطة، وصرت ملاحقاً، نحن لا نعرفك.

أشار الرجل «العجل»، بعينيه إلى مرافقه واتجه الاثنان إلى الباب الخارجي. سار هيلسمان إلى المصعد، صعد إلى مكتبه، دخل وأحس بأنه إنسان محطم... هذه هي النهاية.

سحب درج طاولته، بالضبط في درج كهذا حاول أن يخفي سلاح الجريمة، شعر بالندم لقيامه بإلقائه والتخلص منه، لكنه كان ينفذ ما طلب منه:

ـ عليك أن تتخلص من المسدس مباشرة، بعد تنفيذك للصفقة، لا يجوز بأي حال من الأحوال أن تبقيه لديك.

ـ «... إنها النهاية.. لقد تمكن القتيل من التصريح باسم القاتل، إنها النهاية...».

اقترب هيلسمان من الشرفة وأخذ ينظر إلى الشارع من الأعلى، ثلاثون طابقاً، أحس بدوار في رأسه، استند إلى حافة الشرفة، أحس للحظة بأن الدنيا قد صارت تدور من حوله، كان عقرب الدقائق قد اقترب من عقرب الساعات إنها الثانية عشرة تماماً... وفجأة انصفق باب مكتبه على مصراعيه ودخل بوش مسرعاً وهو يقول:

ـ تعال لنذهب إلى... ـ وبقي فمه مفتوحاً، لم يستطع أن يكمل عبارته وهو يرى كيف أن هيلسمان قد قفز من هذا الارتفاع الشاهق إلى الشارع...

بقي بوش يحدث أصدقاءه عن هذه المأثرة...

ـ لقد كان بطلاً، لقد أنهى حياته بنفسه وبرجولته وأمام عينيه، يجب دراسة «ظاهرة الانتحار» لدى شباب اليوم.

في المساء ذاته في الفيلا، التي يملكها بكلاو، كان بكلاو جالساً على كنبة مريحة وهو يحتفل مع الرجل «العجل» ومرافقه بإتمام الصفقة.. بموت كريستيان هيلسمان.

ـ كان عملاً إبداعياً (قالها وهو يغمز بعينه له...).

أجابه الرجل «العجل»:

ـ إن أكثر ما كنت أخشاه، هو أن يلاحظ بأن النص المكتوب في الصحيفة كان نصاً مزيفاً من خلال عدم تطابق سطور النص مع بقية السطور في الصحيفة. لقد استطعنا أن نحذف ما كان مكتوباً في هذا الحقل لدى إحدى المطابع. ومن ثم أعدنا كتابة النصّ المتفق «عليه ـ معك»، والمتضمن خبراً مفاده بأنك أصبت بجراح خطيرة وأن حالتك ميؤوس منها وبأنك تمكنت من البوح باسم القاتل لرجال الشرطة. صحيح لقد كلفنا ذلك الكثير من النقود ولكن... الحمد لله لم يستطع هيلسمان المسكين أن يكتشف زيف ذلك.. فقد كانت أنظاره معلقة بالخط الأحمر العريض... ومن ثم بقي غارقاً في قراءة النص المزيف، بالطبع أكمل قراءته، وتماماً قبل الثانية عشرة موعد زيارة أصدقائه له لشرب القهوة.. وبالضبط كما كان متوقعاً فقد أقدم كريستيان هيلسمان على الانتحار وأمام شاهد.. بالضبط حسب الخطة التي وضعتها يا مستر بكلاو.

رفع الرجل «العجل» ـ كأسه وشربه دفعة واحدة.

ـ هل قمت بإتلاف الصحيفة.

ـ وهل يحتاج هذا إلى سؤال؟ لقد أخذ سرنا معه بعيداً إلى القبر... إنها ظاهرة القرن العشرين، فكثير من الشباب يلجؤون إلى الانتحار حلاً لمشاكلهم النفسية أو لعدم مقدرة أعصابهم على تحمل ظروف ومشاكل الحياة.

نهض بكلاو قائلاً:

ـ لقد أصبتُ بالرعب، عندما وجه المسدس إلى صدري وأخذ يطلق تلك الرصاصات الخُلبية، إنتابني إحساس بأن اللعبة قد تنقلب عليّ فعلاً.. كنت أخشى أن تكونوا قد وقعتم بخطأ ما، وأن تكون الرصاصات، رصاصات حقيقية، فعالة وقاتلة فعلاً... لكن كل شيء مضى عل ما يرام وفق الخطة باستثناء هذه الكدمة التي أصيب بها مرفقي، إثر سقوطي على الأرض متصنعاً الموت. على العموم لم يكن شاباً سيئاً... لكن عندما علمت بأنهم وافقوا على انتخابه بديلاً عني لمنصب نائب رئيس مجلس إدارة الشركة، تملكني الغيظ، ولم أستطع أن

أتصوره بعد ذلك. كان يجب أن يموت لقد مضى على استلامي لهذا المنصب أكثر من ثلاثين عاماً وقد تعودت على هذا المنصب وهذا النموذج من الحياة والرفاه... وفجأة يتم إسقاطي واختياره بدلاً عني.

شيع نائب رئيس مجلس الإدارة المستر بكلاو، ضيفه «الرجل - العجل» إلى الباب الخارجي وهو يربت على كتفه، كان فعلاً عملاً رائعاً.

تم تشييع جثمان كريستيان هيلسمان في يوم ماطر بعد أن كانوا قد قاموا بنقل والده في ذات اليوم «إلى المشفى - قسم العناية المشددة» لإصابته بالجلطة القلبية إثر سماعه نبأ موت ابنه.

كان عدد المشيعين لجثمانه اثنان فقط. والدته، وصديقه بروست، أما جوان فلم تشارك في تشييع جثمانه إلى مثواه الأخير مفترضة بأن العلاقة بينهما قد انتهت منذ زمن بعيد...

انتهت

الصّفقة

قد يكون ثمة مبالغة في هذه الصفقة مقاسة بالمفاهيم والقيم المصنفة في نطاق المعقول السائد في الأذهان. لكنها قد ترد في عالم اليوم، لأننا في مرحلة اللامعقول مقاساً بما اعتدنا عليه إلى زمن قريب.

فحين يذهب إنسان مهموم إلى أعز كائن ليعرض عليه همومه، حين يذهب للأم، للأب، للحبيبة، للصديق الودود ولا يجد لديهم سوى اللامبالاة والهزء، فما الذي يفعله وسط الإغراءات والتهديد الموجّه من البؤس والمعاناة من جهة، ومن العارضين للصفقات من جهة ثانية؟

فهل يتعلم الإنسان المضيَّع كيف يفلت من اسار الصفقات التي تقدمه ضحية تُشوى في سهرة عامرة بالكؤوس والفلوس؟

وكيف له أن يتعلم إنْ يظل الجسم الاجتماعي برمته مفككاً، كل فرد فيه يسلك أي طريق ولو كانت ضالة، كي ينجو بنفسه، لكن لا نجاة، إلّا في أن يرمي بنفسه من علٍ كي يمتع المشاهد المثقل بأعباء يومه أو يبعث في داخله تلك التنهيدة الخرساء التي لا تلبث أن تتكوم فوق أخواتها السابقات.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الصفقة

قد يكون ثمة مبالغة في هذه الصفقة مقاسة بالمفاهيم والقيم المصنفة في نطاق المعقول السائد في الأذهان. لكنها قد ترد في عالم اليوم، لأننا في مرحلة اللامعقول مقاساً بما اعتدنا عليه إلى زمن قريب.

فحين يذهب إنسان مهموم إلى أعز كائن ليعرض عليه همومه، حين يذهب للأم، للأب، للحبيبة، للصديق الودود ولا يجد لديهم سوى اللامبالاة والهزء، فما الذي يفعله وسط الإغراءات والتهديد الموجّه من البؤس والمعاناة من جهة، ومن العارضين للصفقات من جهة ثانية؟

فهل يتعلم الإنسان المضيّع كيف يفلت من اسار الصفقات التي تقدمه ضحية تُشوى في سهرة عامرة بالكؤوس والفلوس؟

وكيف له أن يتعلم إنْ يظل الجسم الاجتماعي برمته مفككاً، كل فرد فيه يسلك أي طريق ولو كانت ضالة، كي ينجو بنفسه، لكن لا نجاة، إلّا في أن يرمي بنفسه من علٍ كي يمتع المشاهد المثقل بأعباء يومه أو يبعث في داخله تلك التنهيدة الخرساء التي لا تلبث أن تتكوم فوق أخواتها السابقات.

